

www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

سورياتنا

العنف الأسري جريمة أخرى تطال السوريين

داريا أعيت النظام السوري،
وتتطلع إلى ضمانات أممية

مدرسة الحياة بالقابون، مبادرة إنسانية
أعادت 1500 طالب إلى التعليم

غلاء المحروقات في
أكبر محافظات سوريا إنتاجاً للنفط

داريا أعت النظام السوري.. وتتطلع إلى ضمانات أممية

■ دمشق - أنليل فارس

معتقل، والبدء بإطلاق سراحهم وفق خطة زمنية واضحة وعلى رأسهم الأطفال والنساء، إضافة إلى الترحيب والإعلان عن السعي لوجود وفد أممي يرعى ويراقب عملية التفاوض وتنفيذها على الأرض في مدينة داريا، وإبداء استعدادهم لفتح مكتب له في المدينة وتأمين حمايته».

ولفت إلى أن «عملية التفاوض اليوم حساسة، والنظام يعتمد سياسة عض الأصابع، مرانها على رضوخنا أم لا، لذلك أعتقد أن العملية التفاوضية ستستغرق وقتاً طويلاً».

أعاد حسام تدهور الوضع في داريا وإطابق الحصار عليها لعدة أسباب، منها استشراس النظام بوجه داريا لمنع تقدم الثوار باتجاه دمشق، فاعتمد سياسة التجويع في ظل انحسار الدعم العسكري، والضغط على أهالي داريا النازحين عبر توجه الإهانات لهم بشكل مقصود أينما وجدوا».

يشار إلى أن ممثل النظام في مفاوضات داريا، طالب لجنة التفاوض الممثلة لأهالي داريا، بتسليم السلاح الثقيل والمتوسط، مقابل انسحاب القوات النظامية إلى أطراف المدينة، في حين قال إن مسألة المعتقلين لا تقتصر على داريا وهو ملف على مستوى سوريا، كما نفى أن تكون القوات النظامية قد ارتكبت أي مجزرة في داريا، متهما الإرهابيين بذلك، وانتهت جلسة التفاوض على أن يقوم كل طرف بنقل طلبات الطرف الآخر إلى قيادته، حيث يتم بحثها، على أن تعقد جلسة ثانية في موعد لم يحدد بعد.

ومنذ آخر جلسة تفاوض، لم يبادر النظام إلا بمواصلة قصف داريا بشتى أنواع الأسلحة، في ظل تدهور الأوضاع الإنسانية، بشكل يومي، وتشابه داريا معظم مناطق دمشق وريفها المحاصر، حيث تشن عليه حملة عسكرية شديدة من قبل النظام، وتقطع عنها سبل الحياة، ما يتسبب في مقتل العشرات بسبب سوء التغذية وعدم توفر الرعاية الصحية.

عملهم أو وضعهم».

كما أرفق قائلاً «عملياً، تستطيع تخيل الوضع بأن داريا مدينة في زمن حرب، وتسعى لتعيش ولتؤمن متطلبات المتواجدين فيها بالحد الأدنى»، لافتاً إلى أن «المدينة تتعرض لقصف منظم، جوي ومدفعي، فمنذ بداية العام الجاري وحتّى شهر أيار الماضي قصفنا بأكثر من 400 برميل متفجر».

وحول واقع التعليم، أوضح محمد الديراني، ناشط مدني في داريا، أن «المجلس المحلي أنشأ مدرسة ضمن أحد الأقبية، لكن الحالة الأمنية والقصف المتواصل، تسبب في عدم استقرار الإرتياح إليها، يراوح العدد بين 150 طالب في أوقات الهدوء إلى 10 طلاب في أوقات القصف»، لافتاً إلى «وجود نقص في الكوادر البشرية واللوازم الدراسية».

وفي سياق ذاصلة، كانت داريا قد أجرت، في شهر أيلول الماضي، عملية «تفاوض مع النظام»، كما يطلق عليها المعارضون، عقب محاولتين فاشلتين، أعادها عياش، «لتخطيط النظام وعدم جديته في عقد هدنة مع أهالي داريا، فقد كان ملف داريا مع الحرس الجمهوري واستلمته الفرقة الرابعة، ثم دخلت وزارة الدولة للمصالحة الوطنية على الخط، ليعود اليوم ثانية إلى الحرس الجمهوري».

بيّن أن «الفصائل المقاتلة والفعاليات الفاعلة والمدنيين توافقوا على ميثاق شرف، يحتوي شروطاً تعتبر خطوط عريضة للعملية التفاوضية وتعبّر عن المصلحة العليا لداريا، أهم ما نصّت عليه تلك الوثيقة، اعتماد وفد للتفاوض يعتبر الممثل الشرعي للمدينة، وإعادة انتشار القوات النظامية على أطراف المدينة، في حين يتكفل الجيش الحر سحب المظاهر المسلحة من المناطق السكنية في المدينة وتشكيل قوة أمنية لحفظ أمنها، واعتبروا أن تسليم السلاح الخفيف والمتوسط خطأ أحمر لا يمكن المساومة عليه، كما أكدوا على كشف مصير جميع المعتقلين، والذين يتجاوز عددهم 1800

لأكثر من عام ونصف أعت بلدة داريا، تلك المدينة الصغيرة في الغوطة الغربية من ريف دمشق، النظام، رغم أنها قصفها تحت قصف عنيف بشتى أنواع الأسلحة، وحصار خانق، ما حصده هي الآف الضحايا والمعتقلين، لتواصل تحديها للنظام رغم تدمير أكثر من 70% منها، كذلك نحو ستة آلاف شخص بين مدني وعسكري متمرسين داخلها رافضين الاستسلام، ساعين إلى التفاوض مع النظام تحت رعاية أممية حول هدنة طويلة.

قال عضو المجلس المحلي في داريا، حسام عياش لـ «سوريتنا»، «يحصّر النظام بحسب آخر الإحصائيات 6600 شخص في داريا، يعيشون في ظل ظروف إنسانية قاسية»، موضحاً أن «المواد الغذائية تتوفر في الحدود الدنيا، عقب توقيع النظام هدنة مع بلدة معضمية الشام المجاورة، بأسعار مرتفعة نسبياً، فمثلاً كيلوغرام الأرز بـ 200 ليرة سورية، البرغل والسكّر بـ 150 ليرة، أما الوقود فهي مرتفعة، فسعر لتر المازوت يتراوح بين 250-300 ليرة، ولتر البنزين بين 300-350 ليرة، كما هي قابلة للزيادة مع رفع النظام الأسعار مؤخرًا».

بيّن عياش أن «داريا محاصرة من كافة الجهات عدا الجهة الملاصقة لبلدة معضمية الشام، في حين يسيطر النظام على نصف المدينة تقريباً»، مضيفاً أن «نسبة البطالة مرتفعة، أما من يعملون فهم موزعين على المجموعات المقاتلة، والفعاليات المدنية، من المجلس المحلي والفعاليات الأمنية والمشاريع المدنية، وبعض المشاريع الزراعية المحدودة، إضافة إلى بعض الأعمال الخاصة الخدمية والبيع بالمفرق، وهي أعمال مدعومة من قبل المجلس المحلي، علماً أن التعامل داخل المدينة يتم بالليرة السورية، ولا يوجد لدينا مكاتب صرافة».

وتابع «يتكفل المجلس المحلي بتقديم سلل إغاثية أو مبالغ مادية لكافة العائلات بشكل مستمر، وهناك المطبخ المركزي الذي يقدم وجبة الغداء بشكل شبه يومي لجميع الموجودين ضمن المدينة، بغض النظر عن



الإعلامي عطا الله بجبوج (أبو دانيال الحوراني)

يلتحق بقافلة الشهداء الإعلاميين

التحق الإعلامي عطا الله بجبوج المعروف باسم (أبو دانيال الحوراني) بقافلة الشهداء الإعلاميين يوم الثلاثاء الماضي متأثراً بجراحه التي أصيب بها أثناء تغطيته للاشتباكات التي دارت في حي طريق السد بدرعا المحطة. وكان الشهيد عطا الله بجبوج يعمل في المكتب الإعلامي لمجلس مدينة درعا، ناشطاً في مؤسسة سبأ الإعلامية.



الحكومة المؤقتة: اتفاق بتمويل مشاريع في حلب بـ 5 مليون و300 ألف يورو

الحكومة السورية المؤقتة يوم الخميس، حملة صيانة وتحضير لفصل الشتاء لما تسبب به الأمطار والرياح القوية من أضرار على البنية التحتية وشبكة الاتصالات.

وتشمل الحملة صيانة غرف التفتيش ورفع الأغشية ونضح المياه وإغلاق الوصلات المفتوحة، وصيانة الكابلات الهوائية وإغلاق الوصلات المفتوحة في الشبكة الهوائية.

كما تغطي الحملة كافة المراكز الهاتفية التابعة لمديرية اتصالات حلب، ويذكر أن المديرية أعادت تشغيل 25 مركز اتصالات إضافة لـ 11 وحدة أونا منذ بداية تشكيلها فضلاً عن عمليات الصيانة والمتابعة الدائمة للبنية التحتية وشبكات الاتصالات.



والكابلات ولوحات التحكم مع ملحقات خاصة بالتنشغيل.

في حين بدأت مديرية اتصالات حلب في وزارة الاتصالات والنقل والصناعة في

أفاد المكتب الصحفي التابع لوزارة البنية التحتية والزراعة والموارد المائية في الحكومة السورية المؤقتة في تصريح له أن الوزارة وقعت مع صندوق إعادة إعمار سورية اتفاق تمويل بقيمة 5 مليون و300 ألف يورو. وقال المكتب الصحفي لوزارة البنية التحتية في تصريح له: إن مديرية مياه الشرب والصرف الصحي لريف حلب الغربي قامت بتوقيع الاتفاق الذي ينص على قيام الصندوق بدعم إعادة تأهيل وتشغيل شبكة مياه الشرب في نواحي وقرى محافظة حلب، كما يغطي الاتفاق قيام الصندوق بتمويل شراء وتوريد المضخات الغاطسة والأفقية ومضخات خاصة بتعقيم المياه مع الأكسسوارات اللازمة مثل الأنابيب

حكايا المسافر

معرض سوريتهنا في ذكرى تأسيسها الثالثة



افتتحت سوريتهنا يوم الخميس الماضي 9 تشرين الأول 2014، معرض التصوير الضوئي "حكايا المسافر" للمصور السوري باسل حسو في مدينة غازي عنتاب بتركيا، وذلك في الذكرى الثالثة لتأسيس الجريدة في مركز كيركياك الثقافي التركي في المدينة.

ضم المعرض 107 صور فوتوغرافية بقياسات مختلفة وزعت في بناء المركز مكان العرض المشابه لبعض البيوت الدمشقية القديمة المكوّنة من ثلاث طبقات.

ركزت الصور على وجوه السوريين في قراهم بريف سوريا، والأطفال منهم خاصة، ضمن بورتيرهات بتعابير مختلفة تشرح حالاتهم الإنسانية بمعزل عن الحرب التي يعيشونها.

رعت المعرض الشبكة السورية للإعلام المطبوع، المكوّنة لصحف (سوريتهنا، غيب بلدي، صدى الشام، تمدن، كلنا سوريون)، بالإضافة لجمعية جمعية سمارة لدعم الإعلام السوري المستقل ورايو سوريالي.

قدمت سوريتهنا الصور فيه للبيع لصالح شبكة حرّاس لحماية ورعاية أطفال سوريا، والمساهمة بتأسيس مكتبة لأطفال مدرسة الحياة في القابون.

بيع في المعرض 30 صورة بمبلغ 2200 دولار أميركي سيتم إيصاله للجهات المستفيدة حال الانتهاء من التواصل مع المتبرعين.

وصدر بالتزامن مع المعرض كتيّب "الرحيل إلى المهدي، من حكايا المسافر"، الذي يحتوي مجموعة من بورتيرهات أطفال ريف سوريا بعدسة باسل حسو مرافقة لنصوص كتبها خلال رحلاته إلى سوريا في 2012، ووزعت نسخ الكتيب في المعرض.



من حكايا المسافر

العنف الأسري جريمة أخرى تطال السوريين

■ مها خضور

الثانية عالمياً بعد إثيوبيا بنسبة 74%. يفسر المختصين تنامي معدلات العنف الأسري بسبب العنف الذي واجهه السوريون عموماً وبسبب قسوة الظروف المعيشية وإحساس الرجل بالعجز عن تأمين احتياجات عائلته وفقدانه لأي أمل بتغيير تلك الظروف في المستقبل القريب مما يجعله سريع الغضب وغير قادر على الحوار.

تقول سميرة (32 عاماً) لاجئة سورية في تركيا: "تزوجت قبل أكثر من أحد عشرة سنة ولم يضرني زوجي خلالها أبداً، أما هنا فقد تغيرت أحواله وأصبح عصبي جداً، يغضب لأي سبب ويضرني أو يضرب الأولاد".

ثم تضيف بلغة يائسة: "عندما تفرغ جيوب الرجل يصبح عصبي، بالإضافة إلى ذلك فنحن نعيش في منزل كبير مع ثلاث عائلات أخرى وننقسم إيجار البيت وهكذا لا يستطيع المرء أن يشعر بأية خصوصية".

تعترف سميرة بتعرضها للضرب باستمرار من قبل زوجها، لكنها تحاول تبرير ذلك بسبب وضعهم الاستثنائي كلاجئين.

وتحدثت دلال 38 عاماً لاجئة سورية في الأردن: "هربت مع زوجي وأطفالي أواخر العام 2013 وكانت تربطنا علاقة زوجية رائعة لسنوات طويلة قبل مجئنا إلى هنا، لكن الظروف تغيرت فزوجي لا يسمح له بالعمل في الأردن والمنزل الذي استطعنا استجاره ليس سوى (استوديو) غرفة ومطبخ أي أنه لا يوفر لنا الخلوّة التي يعرفها الأزواج بالإضافة إلى هواجس الخوف التي نعيشها على الدوام خشية عدم المقدرة على تأمين الإيجار وطعام الأولاد".

تضيف دلال بشي من الوجع: "أعرف أن هناك مئات الأسباب التي جعلت زوجي عنيفاً تجاهي وتجاه أطفالنا، لكنني لم أعد قادرة على الصمت أكثر لقد فقدت احتراماً له وأصبح سبباً جديداً في معاناتي بدل أن يساندني".

يعتقدون أن الفقر والتشرد الذي وصلنا إليه بسبب الحرب ربما يجبرنا على قبول أي فعل غير أخلاقي".

وتضيف: "لم أقبل أن تعمل أي واحدة منهم لأنني أسمع قصص التحرش بالفتيات اللواتي يعملن ولا أقبل حتى أن تذهب إحداهن لجلب المساعدات التي توزعها بعض المنظمات لأنهم هم أيضاً يتعاملون مع النساء بقلة احترام".

وبسبب الظروف الاقتصادية السيئة وانعدام الحلول اضطرت بعض العائلات لتزويج بناتها في سن مبكرة جداً، معتقدتين أن هذا الزواج ربما يحمي ابنتهم ويؤمن لها الاستقرار كما أنه يخفف الأعباء المالية المترتبة على معيل الأسرة. وهكذا تصبح الفتاة ضحية مرة أخرى حيث تجد نفسها فجأة مضطرة لتحمل أعباء ومسؤوليات الزواج وتكوين الأسرة رغم كونها لا تزال في سن الطفولة.

تقول صهباء (15 عاماً) لجئت مع أهلها إلى الأردن: "عدت في أحد الأيام إلى المنزل لأجد أمي وأبي يتجادلان حول موضوع خطبتي، وبالفعل تم تزويجي خلال أيام لرجل بعمر والدي ورغم أنني أخبرت أهلي أنني لا أرغب في هذا الزواج لكنهم لم يكثرثوا".

وتضيف: "زوجي يغضب ويضرني لأي سبب دون أن يحق لي الاعتراض على أي شيء". وعند سؤالها عن الأشياء التي تحبها، أجابت صهباء: "أحب أن أنام في حضن أمي وبين إخوتي حتى ولو في خيمة".

ولا ينحصر العنف ضد المرأة السورية اللاجئة على تحرش الرجال أو الزواج المبكر، لكن الكثير من النساء والفتيات يتعرضن لعنف أسري ويتلقين الشتائم والتعنيف والضرب من الزوج أو الأب أو الأخ وتؤكد تقارير الأمم المتحدة أن 67% من نساء سوريا يتعرضن للعنف الأسري وهذه النسبة تأتي في المرتبة

تتصدر أخبار الحرب في سوريا نشرات الأخبار لكن التفاصيل غالباً تبقى في صدور الضحايا يكتمونها خجلاً من الواقع المرير الذي وصلوا إليه أو ربما بسبب يأسهم من وجود من يسمعونهم.

ومنذ اندلاع العنف في البلاد، كانت حصة السوريين الأكبر من هذا العنف ففي تقرير صادر عن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين خلال شهر حزيران الماضي قالت المفوضية: إن عدد النساء والأطفال تجاوز نسبة 73% من إجمالي عدد اللاجئين وأن غالبية النساء تتعرضن للعنف بكل أشكاله لكن نسبة واحدة من كل عشرة نساء تقبل الحديث عن العنف الذي اضطرت لمواجهته بسبب ظروف الحرب".

دعت تلك النسبة العالية جداً لتعرض السوريين للعنف، بعض المنظمات الدولية كاليونيسف والمفوضية لإقامة دورات تاهيل وتدريب للنساء السوريات في دول الجوار وتؤكد الاختصاصية اليزابيت جوستافسون - مديرة مركز IRC لدعم وحماية المرأة في لبنان أن: "غالبية النساء والفتيات يعبرن عن رغبة في تلقي المزيد من المعلومات والمهارات وتؤكدن على أهمية دور المرأة في حماية ورعاية أسرتهن، لكن غالبيةهن للأسف تعانين من شعور الخوف وفقدان الثقة بالمجتمع الجديد".

وأكدت السيدة اليزابيت أن "تحرش الرجال بالنساء اللاجئات هو أحد أهم أسباب مخاوفهن وعزلتهن حيث تتعرض 60% من النساء للتحرش في كل من لبنان والأردن حسب تقارير المنظمات الدولية المعنية وأن نسبة واحدة من كل ثلاث نساء تخشى الخروج من منزلها بسبب شعورها بأنها ستصبح مستباحة خارجه فقط لأنها لاجئة".

أم عبدالله - 47 عاماً لجئت إلى لبنان مع ثلاث من بناتها وجميعهن في المدارس والمعاهد. تعبر "أم عبد الله" عن خوفها الدائم عليهن بالقول: "أنا أخشى على بناتي كثيراً لأن الناس



مخيم الزعتري 2013



تأمين المسكن أصبح هماً جديداً للكرديين في كردستان العراق

■ مهند النادر

يتحدث مروان حسين (32 عاماً) بعد أن عبر نهر دجلة عائداً إلى سوريا عن سبب عودته "أنا مهندس مدني، وعملت في كردستان العراق براتب 700 دولار وكنت أدفع 500 دولار أجرة منزلي، طالبني صاحب البيت بزيادة الأجرة لذلك تركت البيت وعدت لأنني لم أعد قادراً على تحمل الأعباء مجدداً، الحل الوحيد أمامي هو تركيا، محاولاً من هناك الهجرة إلى أوروبا بأي طريقة".

تعليق الحكومة المركزية العراقية لميزانية حكومة إقليم كردستان في أوائل عام 2014، وهجمات تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" على المناطق الكردية في بداية شهر آب الماضي، جعل الحياة لا تطاق ليس للكرديين العراقيين فقط، وإنما للاجئين السوريين أيضاً، مما دفعهم للعودة إلى ديارهم، يقول صالح مسعود، أحد الخبراء الاقتصاديين في إقليم كردستان "أن عودة اللاجئين السوريين إلى سوريا أمر طبيعي بسبب سوء أوضاعهم الاقتصادية، خاصة بعد الخلاف بين حكومة إقليم كردستان والحكومة العراقية المركزية حول موضوع الميزانية، مما أثر بشكل كبير على الأوضاع الاقتصادية في الإقليم، كذلك العديد من المشاريع الاستثمارية توقفت، هذا أدى إلى انخفاض فرص العمل للجميع في كردستان العراق". يقول "سليمان عبدالكريم" وهو لاجئ من القامشلي قدم إلى إقليم كردستان العراق قبل سنتين: "فقدت عملي ولم يعد لدي مصدر للرزق، والموت يلاحقنا، سأعود إلى سوريا رغم كل الظروف ومع معرفتي بانعدام كافة الخدمات الأساسية من ماء وكهرباء، قد لا أجد فرصة للعمل هناك، إن كان لابد من الموت فمن الأفضل أن أموت في بيتي".

استمرار العنف في العراق وتدهور الأوضاع الاقتصادية في إقليم كردستان العراق، سيزيد من معاناة اللاجئين السوريين في تأمين المأوى والعمل، كذلك سيدفعهم إلى مغادرة كردستان العراق باتجاه المجهول.

الماضيين بطريقة قانونية ورسمية بسبب الأحداث، في حين لم يتجاوز عدد العائدين 500 لاجئ في شهر كانون الثاني 2014".

مروان (30 عاماً) من مدينة الحسكة، لجأ إلى إقليم كردستان العراق، "عملت في إحدى شركات البناء وبسبب الأحداث الأخيرة فقدت عملي واضطرت إلى ترك منزلي هرباً من تنظيم "داعش"، فقررت العودة إلى ديار، الوضع خطير ولا عمل لدي".

دفع الهجوم على الموصل وسيطرة قوات الدولة الإسلامية عليها سكان المدينة إلى الفرار باتجاه المناطق الكردية، خاصة نحو مدينة دهوك المجاورة، والتي رغم صغرها، إلا أنها تحولت إلى أكبر المحافظات كثافة بالسكان، حيث تجاوز عددهم 900 ألف بسبب حركة النزوح الداخلي الأخيرة. ورغم ازدياد تدفق النازحين القادمين من المناطق العراقية التي سيطرت عليها "داعش"، فإن حكومة إقليم كردستان لم تنشئ ما يكفي من المخيمات اللازمة لإيوائهم، مما أدى إلى ارتفاع أسعار إيجار المنازل بسبب الحاجة الملحة والعدد الكبير من النازحين. صرح كاوا أحمد، مالك مكتب عقاري في محافظة دهوك، "خلال الشهرين الماضيين جاء عدد كبير من سكان الموصل وضواحيها مما زاد في أسعار الإيجارات، لأن الكثير من أصحاب الشقق رفعوا الإيجار، فالشقق التي كانت بـ 400 دولار أصبحت بـ 700 دولار شهرياً، أي أن الإيجار ارتفع إلى الضعف تقريباً، لكن البعض لم يرفعوا أجرة منازلهم رافة بالنازحين". أبو محمد العبدالله، (45 عاماً) وهو أب لخمسة أطفال، عاد إلى سوريا مؤخراً قادماً من إقليم كردستان الذي لجأ إليه منذ عامين، يقول: "عدت من هناك بسبب انتهاء عقد المنزل، وبسبب ارتفاع أجرة المنازل لم يعد باستطاعتي توفير المال الكافي لدفع أجرة منزل جديد وتوفير مستلزمات الحياة لعائلتي".

الصراع الجاري في سوريا وما نتج عنه من قتل وتدمير، وفقدان الكثير من المواطنين لأعمالهم وسبل رزقهم، فرض على الملايين من السوريين ترك منازلهم وقراهم ومدنهم، والانتقال إلى أماكن أخرى أكثر أمناً، البعض منهم نزحوا إلى مناطق سورية أخرى، والآخرين لجأوا إلى دول الجوار والمنافي البعيدة. للعراق كانت حصتها من اللاجئين السوريين الفارين من الأحداث الجارية في بلدهم. حسب إحصائيات المفوضية العامة للاجئين، أن عدد اللاجئين السوريين في العراق قد تجاوز (214 ألف) لاجئ معظمهم من الكرد السوريين، يقيم 45% منهم في إقليم كردستان، يعيش 45% منهم في المخيمات التي أقامتها حكومة إقليم كردستان، و55% منهم يقيمون خارج المخيمات، أشهرها مخيم (دوميز) الذي يقع على بعد 60 كيلو متر من الحدود السورية، والذي تم تجهيزه لاستيعاب 2500 لاجئ، في حين وصل عدد اللاجئين السوريين في المخيم إلى 45 ألف لاجئ حسب تقارير إدارة المخيم.

الكرديين السوريين الذين لجأوا إلى إقليم كردستان العراق، البعض قدموا من دمشق وحلب بسبب المعارك، والبعض جاؤوا من المناطق الكردية السورية مثل "ديريك والقامشلي" بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية وقلة فرص العمل بسبب الصراع الدائر في البلاد، والبعض الآخر هرب بسبب الصراعات بين الأحزاب الكردية في سوريا.

الأحداث العنيفة في العراق بين تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" من جهة، والحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان من جهة أخرى، إضافة إلى الضربات الجوية لقوات التحالف الدولي على المناطق سيطرة "داعش"، تزيد من معاناة اللاجئين السوريين في شمال العراق وتدفع بالعديد منهم إلى العودة. معلومات مركز العبور تفيد "بعودة أكثر من 25 ألف لاجئ سوري خلال الشهرين

مدرسة الحياة بالقابون مبادرة انسانية أعادت 1500 طالب إلى التعليم

■ دمشق - زليخة سالم

أخبار وتقارير ..



في التخفيف من هذه الآثار، ونعمل على تقوية الطلاب الذين يعانون من مشاكل دراسية وضعف في القراءة والكتابة ونشجع الجميع من طلاب وأهالي على الدراسة ومتابعة التحصيل العلمي.

ومن أجمل الأمور التي تحصل عندما نرى أحد الشباب الذين يحملون السلاح يأتي إلى المدرسة ويهتم بمتابعة تعليمه والحصول على الشهادة الثانوية.

وتقوم المدرسة بنشاطات رسم وألعاب ورياضة للتلاميذ، وتم القيام بعمل حفل ترفيهي كبير للأطفال في نهاية الدورة الصيفية.

وعن رسومات الأطفال وحول ماذا تدور قالت: إن الرسومات بشكل عام تعكس حنين الأطفال لحياتهم الماضية إلى بيوتهم، فأغلبهم يرسم بيوت ومناظر طبيعية جميلة، ومنهم من يرسم علم الثورة.

وأوضحت أن عدد التلاميذ ارتفع من 100 طالب في بدء التأسيس، إلى 750 طالب في الأشهر الأولى من العام الجاري، إلى 900 طالب في الدورة الصيفية، وصولاً إلى حوالي 1500 طالب حالياً، يتم تدريسهم المنهاج السوري "عنا مادة القومية" ودروس عملية لمادة التربية الإسلامية، كما وصل عدد الكادر التدريسي المتخصص، والإداري،

وعمال التنظيف والعناية بالحدائق وغيرها إلى حوالي 100 شخص من المجتمع المحلي، مشيرة إلى أن الصفوف من الأول إلى الرابع مختلطة، فيما تتوزع الصفوف من الخامس إلى الثانوية العامة في صفوف منفصلة للإناث والذكور، وأن حوالي النصف منهم مسجل في مدارس رسمية من أجل تقديم الامتحان في نهاية العام.

عدم افتتاح أي من المدارس في المنطقة، إضافة إلى أن الكثير من أهالي تلك الأحياء والذين كانوا محاصرين في الغوطة الشرقية تمكنوا من العودة إلى منازلهم ليلعب عدد الأطفال المئات، وهذا ما دفع القائمون على المدرسة على نقلها إلى بناء كبير مهجور في حي القابون تم تنظيفه وترميمه بما يسمح بالعمل فيه، وفعلاً تم افتتاح المدرسة الجديدة في شهر شباط من العام الحالي، وتم تدريس المنهاج كاملاً خلال فترة ثلاثة أشهر ليتقدم بعدها الطلاب لامتحانات نهاية العام الدراسي 2013 - 2014 بنجاح.

وفي الصيف تم إقامة دورة صيفية للطلاب الذين لم تتح لهم فرصة التقدم للامتحان النهائي وذلك بهدف التقدم لسبر معلومات قبل العام الدراسي الجديد، والآن بدأ العمل في العام الدراسي الجديد 2014 - 2015 منذ منتصف شهر أيلول الماضي.

وأضافت: عملنا بعض النشاطات القليلة مع الطلاب في مجال الدعم النفسي، ونسعى لتوسيعها خلال الأشهر القادمة، نتواصل بشكل دائم مع خبراء في هذا المجال لحل أي مشاكل نفسية مستعصية ونقيم دورات تدريبية للكادر حول أسس الدعم النفسي الاجتماعي وحماية الأطفال والتعامل معهم وقت الأزمات.

وحول مدى اندماج الطلبة في التعليم، ومدى تجاوزهم للآثار النفسية التي تعرضوا لها؟ قالت: يعاني الطلبة مشاكل لا تعد ولا تحصى، بدءاً من الانقطاع عن الدراسة لعدة سنوات وتأخرهم عن زملائهم، إلى الآثار النفسية للحرب وفقدانهم لذويهم، إضافة إلى ثقافة الحرب التي ترسخت في عقولهم، مضيفة: إن المدرسة ساعدت إلى حد كبير

كان هدفهم الأطفال والشباب ومستقبلهم العلمي، مجموعة من الشباب والمعلمين انطلقوا للعمل في مدرسة الحياة في القابون المحاصرة "والتي كانت تتعرض هي والمناطق التي تحيط بها إلى القصف اليومي العنيف" ضمن عدد من البيوت في تشرين الملاصق لحي القابون، بدافع إنساني بحث، لحماية الأطفال من تداعيات الأمية والآثار النفسية للحرب عليهم.

مدرسة الحياة مشروع إنساني، يجهد القائمون عليه للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأطفال والشباب، ويدفعهم شعورهم بالمسؤولية لتقديم أفضل تعليم ممكن لهم، رغم كل الصعوبات والمعوقات التي واجهتهم وتواجههم، من مخاطر الحرب بداية، واختلاف مستويات الطلاب المنتسبين للمدرسة.

وحول فكرة انشاء المدرسة، وماذا تقدم للأطفال من وسائل تعليمية، ومناهج، ونشاطات ترفيهية ودعم نفسي، قالت إحدى الكوادر التدريسية والقائمت على المدرسة لسوريتنا:

انطلق العمل في مدرسة الحياة في شهر تشرين الثاني عام 2013 خلال الحصار المطبق على أحياء القابون وبرزة وتشرين والمعارك العنيفة فيها، وذلك ضمن عدد من البيوت في حي تشرين الملاصق لحي القابون، وبلغ عدد الطلاب آنذاك حوالي 100 طالب، أشرف على تدريسهم 15 مدرسة ومدرس من أهالي تلك الأحياء المحاصرة.

ومع توقف الحرب وبدء تطبيق الهدنة في حي برزة في بداية العام 2014، ازداد عدد الأهالي بشكل كبير وبرزت الحاجة لتوسيع المدرسة لتستوعب كافة الأطفال في القابون وبرزة وحي تشرين في ظل

تفاهم عمالة الأطفال في حلب

حلب - فؤاد الأحمر

وينادي حتى يبيع ما لديه من الخبز، يبيع الطفل هذه الرُبطة بـ 75 ليرة ليحني منها 50 ليرة سورية. مجد، 12 عاماً، أحد الأطفال الذين امتنوا ببيع الخبز منذ أكثر من سنة بحي الفيض "لا أحب هذا العمل، لكن أبي أجبرني عليه، حاولت التأقلم معه وتعرفت على الكثير من الأصدقاء عند شبابيك الفرن، وأنا حالياً أفكر في أن أطور عملي، كان أشغل بعض الأطفال، فهم يقفون على دور الفرن ويشترون الخبز وأنا أبيعهم وناقسم المربح مناصفة".

لم يتابع مجد تعليمه، وهو يتمني أن يكون الآن على مقعد من مقاعد الدراسة، يقول مجد: "إن والدي يقول لي إن الدراسة لا تجني المال، والعمل أفضل منها، لكنني أحب الذهاب إلى المدرسة واللعب مع أصدقائي، وأحزن عندما أرى الأطفال وهم خارجين من المدرسة مرتدين ملابسهم المدرسية، في إحدى المرات اشترت لباساً مدرسياً كاملاً من المال الذي جنيته حتى ارتديه، لكن بمجرد أن رآه والدي أخذه مني وذهب ليسترد ثمنه".

في شارع آخر من حي الفيض بحلب، استوقفني مشهد خالد، 10 سنوات، بجسمه النحيل وهو يحمل كيس مليء بالبلاستيك.

خبرنا خالد أنه بشكل يومي يستيقظ في السادسة صباحاً ويخرج من بيته لجمع المواد البلاستيكية أو المعدنية من بين القمامة، لينتهي عمله قبل المغرب بقليل بإيصال ما جمعه من تلك المواد إلى "المعلم" الذي يدفع له بحسب وزن البلاستيك أو المعدن الذي تم جمعه.

تشغيل الطفل يعرضه لمخاطر كثيرة، وخاصة في ظل حالة الفوضى والتسيب الأمني التي تعم المدينة، يقول الدكتور موفق، وهو أحد المسؤولين في منظمة الهلال الأحمر "إن الأطفال الذين ينتشرون في الشوارع، معرضون للاستغلال والتعدي بكافة أشكاله، الجنسي والجسدي والمادي، وإن وجود الطفل في الشارع يكسبه أشياء سلبية ويعطي لشخصيته الفوضى وعدم الانضباط، والشارع سوف يوجهه إلى الطريق الخاطئ، فيجب إلزام الأهالي بشكل جدي بتعليم أطفالهم ومكافحة ظاهرة عمالة الأطفال".

في ظل يوميات الحرب التي تعيشها مدينة حلب وريفها من ظروف معيشية صعبة، لم يتمكن الكثير من أهالي حلب إبعاد أطفالهم عن المعاناة اليومية في تأمين لقمة العيش، فأصبح الكثير من الأطفال شركاء أساسيين في هذه المعاناة على حساب طفولتهم المنتهكة في شوارع أخطر مدينة في العالم!

يجلس أمام بسطة صغيرة لبيع الدخان، يده الصغيرتان تعدان ما دفعه له الشاب، الذي اشترى منه علبة سجائر منذ قليل.

ياسين، 11 عاماً، كان يجب أن يكون الآن في الصف الخامس الابتدائي، إلا أن مدرسته المدمرة بسبب قصف النظام، وظروف عائلته الصعبة دفعته لافتراش أحد شوارع مدينة حلب ببسطة متواضعة لبيع الدخان.

غلاء الأسعار وضعف المدخول للكثير من الأسر الحلبية، جعلهم يدفعون بأبنائهم إلى الشارع حتى يجلبوا بعض المال للمساعدة في تأمين مستلزمات الأسرة. الكثير منهم تركوا مقاعد الدراسة مع بداية العام الدراسي الجديد، أطفال الأفران في الشوارع، وآخرون مازالوا يعملون في صالونات الحلاقة، في المطاعم وعلى البسطات، والبعض الآخر ينتشر في الشوارع بدون عمل ويدون تعليم.

أم سالم وابنتها الشابة وأولادها الثلاثة يخرجون يومياً من بيتهم في الساعة السادسة صباحاً، متوجهين إلى فرن "الرازي" ليقفوا بطوابير طويلة في انتظار حصة من الخبز، وبعد الحصول على هذه الحصة، يقفون أمام الفرن لبيعوها، في حال أنفقوا ما لديهم، وهذا ما يحصل غالباً، يعاودون الوقوف بالدور ثانية ليحصلوا على حصة جديدة ومن ثم يبيعونها إلى أن يغلق الفرن نوافذه.

تقول أم سالم: "منذ أكثر من سنة، وأنا وأولادي نأتي يومياً إلى الفرن، نقف منذ الصباح وحتى المساء متحملين برد الشتاء وحر الصيف، ومضايقات العساكر والشبيحة الذين يدعون أنهم ينظمون الدور ويخدمون الناس، في حين أنهم يضايقون الفتيات، هذا ما جعلني في الفترة الأخيرة منع ابنتي الشابة المجيء إلى الفرن".

وتضيف "صاحب الفرن أصبح يلاحقنا مؤخراً لأننا نربح في رُبطة الخبز عشر ليرات زيادة عن سعر الفرن، وأسوأ ما في الأمر هي المعاملة الدونية من قبل عمال الفرن والعساكر الموجودين خارج الفرن، فنحن نحمل يومياً عشرات الإهانات، ونظرات الشفقة تلاحقنا من الناس، كل ذلك لكي نحصل على 500 ليرة سورية وربطتين من الخبز يومياً".

الكثير من أطفال حلب تركوا مدارسهم ليقفوا على طوابير الأفران، ليساعدوا أهلهم في تأمين عيشهم. يشتري الطفل حصته من الخبز ثم يوزعها على أكياس، في كل كيس سبعة أرغفة، يقف أمام الفرن أو في مكان مزدحم بالناس



وحول كيفية تأمين احتياجات المدرسة في ظل الحصار، والتمويل، والاحتياجات الملحة، ومدى تجاوب الأهالي، والمعوقات، والطموحات؟ قالت المدرسة: نعمل ضمن أضييق الإمكانيات الموجودة ونعتمد على بعض الموارد الموجودة أساساً إضافة إلى إمكانية شراء بعض المستلزمات من خارج الحي.

ونتلقي التمويل من بعض المنظمات ذات الطابع الإنساني حصراً، وبعض المتبرعين، ولا نحصل إطلاقاً على أي دعم من أي منظمة ذات طابع سياسي أو ثوري ونرفض توجيه العمل بهذا الاتجاه فنحن عملنا هو عمل إنساني بالمطلق.

وأولى احتياجاتنا توفير المستلزمات خاصة للطلاب ذوي الإمكانيات الاقتصادية المحدودة بسبب الأوضاع الاقتصادية السيئة في كافة أنحاء البلاد.

النسبة الأكبر من الأهالي مهتمة بتعليم أطفالها وتدرك أهمية التعليم خاصة بعد مضي هذا الوقت الطويل على الحرب في سورية، وتسعى لتأمين احتياجات أطفالها رغم الظروف الصعبة جداً.

في مرحلة التأسيس كان القصف والحرب من أهم معوقات العمل، واليوم لدينا عدد كبير جداً من الطلاب ونشعر بالمسؤولية تجاه تقديم أفضل تعليم ممكن لهم، وقد يكون الاختلاف الكبير في المستويات بين الطلاب من أهم المعوقات، رغم أن الكادر هم من الأساتذة المختصين والذين يعملون جاهدين لتجاوز هذا الموضوع.

واختتمت بالقول: نتمنى أن نتمكن من تعليم كافة أطفال المنطقة، ورغم افتتاح عشر مدارس في برزة هذا العام بعد تنفيذ الهدنة، لا يزال مئات الأطفال بحاجة للتعليم، ونحن نعمل ضمن أقصى إمكانياتنا المتاحة لنا كي نستوعب أكبر عدد ممكن منهم.

إصرار كادر المدرسة على البقاء داخل الحي والمتابعة رغم كل الظروف الخطيرة التي كانت تتهددهم، يقدم نموذجاً رائعاً للعمل الإنساني المستقل البعيد عن الأجناس والتسييس، الهادف فقط إلى التعليم والدعم النفسي، والواجب تعميمه على بقية المناطق وصولاً إلى كل أطفال سورية الذين دفعوا ثمننا باهظاً من حياتهم وطفولتهم وتعليمهم، فلننقذ نحن مستقبلهم.



جرة الغاز حلم كل أسرة في درعا والبديل مواقد الكاز والحطب

■ درعا - سارة الحوراني

الوحيد لمواصلة إطعام أطفال الخمسة".
حالة أم "خالد" لا يختلف كثيراً عن حال "أم علي"، فمع انقطاع شبه تام للتيار الكهربائي لجأت هي الأخرى إلى وسائل بديلة لتعويض فقدان الغاز.

"قمت بتجهيز مدفئة حطب على سطح منزلي لاستخدامها للطهي عند انقطاع التيار الكهربائي، فغالباً ما يحدث ذلك نتيجة لاستهداف قصف قوات النظام الكوابل والأعمدة الكهربائية، وعلى الرغم من مشكلة "الشحار" التي يخلفها الطهي على الحطب لكنه الحل الذي يلجأ إليه غالبية الأهالي، فيما تعتمد العديد من جاراتي على موقد الكاز وغالباً ما يتم استخدام وقود مخلوط من المازوت والملح أو البنزين".

النساء هن الأكثر تأثراً نتيجة لأزمة الغاز حيث بتن مسؤوليات بشكل كبير عن إيجاد بديل عنه وإدارته والحفاظ عليه إن وجد وكأنه من المقتنيات الثمينة.

أم منصور تمكنت من تأمين جرة غاز بمبلغ ستة آلاف ليرة سورية بعد انتظار طويل دفعت ثمنها نصف راتب زوجها، لكن جرة الغاز الغالية ليست للاستعمال اليومي بل لأشياء أكثر أهمية من الاستعمال اليومي.

توضح أم منصور "حياتنا الآن باتت مبرمجة حسب فترات قدوم التيار الكهربائي، حيث نقوم بتجهيز الطعام غالباً على سخان الكهرباء إضافة إلى تسخين المياه وحفظها في أوعية تسمح بالاحتفاظ بدرجات الحرارة حتى ساعات طويلة لاستعمالها لاحقاً في صناعة الطعام، أما جرة الغاز فهي للحالات الخاصة كضيوف طارئون أو مناسبات خاصة تستلزم طهي الطعام في أوقات مخالفة للتيار الكهربائي".

سورية، لكن أثناء عودتي ومروري من حاجز السكة استوقفتني أحد عناصر الحاجز وطلب مني بطاقتي الشخصية والعائلية، غاب عدة دقائق ليعود حاملاً جرة غاز فارغة استبدالها بالجرة المعبأة وطلب مني الانصراف بسرعة قبل عودة الضابط واعتقالي لوجود اسم أحد أقاربي على قائمة المطلوبين".

قبل شهران كانت جرة الغاز في الأحياء المحررة من مدينة درعا ومدن وقرى وبلدات الريف متوفرة وبأسعار تراوحت بين 2500 ليرة سورية حتى 3000 ليرة للجرة الواحدة زنة 25 كيلو.

في وقت لاحق فقدت مادة الغاز بعد أن قررت السلطات الأمنية التشديد واعتقال عدد من الأشخاص ممن كانوا يؤمنون الغاز للمناطق الخارجة عن سيطرته، لترتفع أسعار الجرة الواحدة بشكل كبير وتتفاوت سعر جرة الغاز الواحدة من منطقة لأخرى بين 5000 آلاف ليرة سورية في بلدة غصم في الريف الشرقي إلى 13 ألف ليرة سورية في بلدة الغرية الشرقية.

دفع غلاء سعر جرة الغاز العديد من أهل درعا للتخلي عن استخدامها والاعتماد على مصادر أخرى كالحطب ومواقد الكاز والكهرباء. كما هو الحال مع "أم علي" والتي لم تستخدم جرة الغاز منذ ما يقارب العامين بسبب تدهور وضعها المادي بعد استشهاد زوجها، فهي تلبى احتياجات منزلها معتمدة على الحطب غالباً.

تقول "أم علي": "منذ ما يقارب العامين نعتمد على جمع الحطب وبقايا البلاستيك وكل شيء قابل للاحتراق لاستعماله في الطهي وتسخين المياه، بالرغم من المشاكل الصحية الناجمة عنه حيث أعاني من ضيق في التنفس وبداية لربو مزمن لكنه الحل

بات وجود جرة الغاز في منازل درعا وريفها من المستحيلات، نتيجة لسياسة الحرمان التي يتبعها النظام السوري تجاه المناطق التي يسيطر عليها الثوار.

"أم شاكر" سيدة في الخمسينيات من عمرها تسكن أحد الأحياء المحررة بمدينة درعا والتي قرر النظام حرمانها من مخصصات الغاز، فحاولت الحصول على جرة غاز من منطقة درعا المحطة الخاضعة لسيطرة النظام السوري.

تقول أم شاكر: "منذ ساعات الفجر انطلقت برفقة عدد من النساء إلى درعا المحطة حاملين الجرار الفارغة على أكتافنا، وعند وصولنا إلى حاجز السكة التابع لقوات النظام والذي يشكل المعبر الوحيد بين الأحياء المحررة بمدينة درعا (المخيم وطريق السد ودرعا البلد) والأحياء الأمنية المسيطر عليها من قوات النظام السوري، قام العناصر بالكشف على بطاقتنا العائلية وتسجيلها لديهم ومن ثم سمح لنا بالمرور".

في مركز التوزيع المكتظ بأعداد كبيرة تبده معاناة جيدة من الانتظار الطويل لساعات طويلة، إضافة إلى المعاملة السيئة التي تمارسها العناصر الأمنية المتواجدة في مركز التوزيع.

"طلب منا الالتزام بالدور المخصص للنساء الذي كان يمتد لمسافة تتجاوز 500 متر ووضع جرار الغاز بين أقدامنا، لتبدأ بعدها المعاملة المهينة من قبل عناصر الأمن، دون أي مراعاة سواء كان الشخص امرأة أو رجل مسن أو حتى طفل، وتم ضرب العديد من الرجال والنساء بالعصا لمجرد خروجهم عن الصف". بحسب "أم شاكر".

وتضيف: "سبع ساعات من الانتظار حتى حصلت على جرة الغاز بمبلغ 1300 ليرة



غلاء المحروقات في أكبر محافظات سوريا إنتاجاً للنفط

■ دير الزور - عادل العايد



ينتظر ظاهر حامد 37 سنة، من بلدة الشميطية، في الريف الغربي لدير الزور، الشتاء الذي أصبح على الأبواب، دون أن يتوفر لديه المال الكافي، لشراء الوقود اللازم للتدفئة من أجل عائلته المكونة من خمس أطفال وزوجته، ظاهر يعمل في سوق محلي (سوق الحلال)، وهو سوق تباع وتشتري فيه المواشي. تراجع عمله لتراجع الحركة التجارية في السوق بسبب المعارك التي جرت خلال الأشهر السبعة الماضية بين فصائل الجيش الحر وتنظيم الدولة الإسلامية، يقول «دخلني لا يتجاوز العشرين ألف ليرة سورية في الشهر، وبهذا المبلغ قد لا أقدر على شراء برميل مازوت إذا استمر سعره بالارتفاع».

حالة ظاهر ليست الوحيدة، ثمة شريحة واسعة من المقيمين واللاجئين في دير الزور، ريفاً ومدينة، حيث تجد صعوبة بالغة في تأمين الوقود لإشعال المدافئ في الشتاء القادم، بسبب غلاء المحروقات في المحافظة التي يوجد فيها ما لا يقل عن 11 حقلاً نفطياً، أهمها حقل العمر الذي يقع 15 كم شرقي بلدة البصيرة، شرقي مدينة دير الزور، وتبلغ كمية النفط المباعه منه يومياً بـ 10 آلاف برميل، بالإضافة إلى حقول أخرى أقل إنتاجاً، وبعد تحرير ريف دير الزور تم استثمار هذه الحقول من قبل فصائل محلية، معارضة للنظام، وبيعه بشكل خام إلى تجار محليين، يقومون بتكريره بوسائل بدائية (حراقات)، وهي عبارة عن خزانات توضع فيها النفط الخام، وتشعل النار تحتها بشكل مستمر حتى تنفصل مكوناته إلى مشتقات نفطية، مثل المازوت، والبنزين.. الخ، كما يتم استخدام مصافي تعمل على الكهرباء، ويزداد استخدام هذه المصافي بسرعة كبيرة، لمنع تنظيم الدولة الإسلامية العمل بالمصافي اليدوية في بعض المناطق، ولسهولة العمل عليها، وكذلك توفيرها للجهد. تعتبر مشتقات (الحراقات) والمصافي الكهربائية، هي الوحيدة المتوفرة في محافظة دير الزور، بعد حرمانها من المحروقات، من قبل النظام منذ أكثر من سنة.

لقد شهدت هذه المشتقات ارتفاعاً كبيراً بالأسعار، تراوح ما بين 40 و60٪ في مناطق دير الزور كافة، يعود ذلك إلى غلاء النفط

إذا كانت غارات التحالف الدولي هي السبب الرئيسي في معاناة السوريين، في الفترة الحالية، إلا أنه ليس السبب الوحيد، ثمة أسباب أخرى تؤثر في أسعار المحروقات، منها الشتاء نفسه، فمع مجيء البرد يقوم العاملون في تصفية النفط برفع الأسعار بسبب ازدياد الطلب على المازوت بشكل خاص، حيث يعتبر المشتق الأكثر رواجاً لأهميتها في التدفئة وسعره المنخفض مقارنة مع مادة المازوت النظامي، ولجودته أيضاً، يقول سليمان عباس 25 سنة، صاحب مصفاة نفط كهربائية وسيارة لنقل النفط الخام (الفيول): «العام الماضي لم يكن ثمة غارات للتحالف، وكل الآبار كانت تعمل بإنتاج أكبر من الآن، ومع ذلك ارتفع سعر النفط ومشتقاته. الطلب يزداد في هذه الفترة من السنة بشكل طبيعي، حيث يتوافد إلينا تجار المحافظات الأخرى من حلب، إدلب، وحماة بكتافة، ويدفعون أكثر من المستهلكين المحليين».

من جهة أخرى يرى (حمد ناصر) من أبناء قرية الخريطة في الريف الغربي لدير الزور، أن تجار النفط أيضاً يستغلون حاجة الناس لمادة المازوت في هذه الفترة، فمازالت هناك حقول تعمل وبإنتاج عال، مثل حقل العمر، وسعر النفط الخام لا يزال على سعره القديم قبل القصف الجوي لطيران التحالف الدولي، يوضح حمد: «إنهم يعتبرون هذه الفترة فرصة لجمع المال، العمل يزداد، الكثيرون ممن تركوا العمل في هذا المجال يعودون إليه في هذا الوقت، بعد موجة الغلاء التي تشهدها أسعار المحروقات، ولا يخلو الأمر من مخاطرة، بسبب القصف على الحقول، وتجمعات مصافي النفط».

أسعار المحروقات في دير الزور، أكثر المحافظات السورية إنتاجاً للنفط، والتي تم معظم المناطق السورية المحررة، بالمشتقات النفطية مازالت في ارتفاع، والخاسر الأكبر من هذا الارتفاع هو المستهلك، خصوصاً مع اقتراب الشتاء وانخفاض مستوى الدخل لديه.

الخام وعدم توفره في بعض المناطق بعد إيقاف العمل في بعض الحقول النفطية، بسبب القصف الجوي لطيران التحالف الدولي الذي بدأ فجر الثلاثاء 22 أيلول الماضي، وقد استهدفت الغارات آبار نفطية ومصافي للأهالي، أهم المواقع التي استهدفتها القصف في دير الزور، حقل التنك النفطي في بادية الشعيطات والذي يعتبر ثاني أهم حقل في دير الزور بإنتاج يقدر بـ 7000 برميل يومياً، وحقل الحسينان في بادية البوكمال، ومناطق نفطية في بادية القورية، ومعمل الكونيكو 20 كم شرق دير الزور، يقول (س. ب) أحد أبناء الريف الشرقي لدير الزور: «منذ أن بدأت غارات التحالف الدولي على مناطق دير الزور، شح النفط الخام بسبب توقف العمل في بعض هذه الآبار، لذا تحكمت بعض تجار النفط في أسعاره، وارتفعت الأسعار بشكل ملحوظ، لا سيما المازوت، المادة المطلوبة في التدفئة، حيث كان سعر البرميل 10 آلاف ليرة، وأصبح الآن 17 ألف ليرة، وسوف تزداد أسعاره مع استمرار القصف الجوي للتحالف الدولي واقتراب برد الشتاء من ناحية أخرى».



عودة الأعراس إلى أدلب وزواج السكايب واقع غير معن

■ عثمان الإدلبي - أدلب

بعض العوائل الإдлиبية تقاليد التعارف والطلب، وبات كل شيء اليوم يتم عن بعد، كون معظم الشبان وخاصة المتعلمين منهم أصبحوا خارج البلاد، تأتي أم العريس وتطلب الفتاة من أهلها وتطلب منهم أن يتعرفوا على ابنها عبر السكايب.

كانت الكثير من عائلات إدلب ترفض هذه الطريقة في تزويج بناتها، كما كان الكثير من الأهالي يرفضون تزويج بناتهم إلى خارج سوريا، لكن زواج السكايب أصبح واقعاً يتمشى معه كل الناس، ويجد فيه الأهل سترة لبناتهم في وقت قل فيه الشباب المقبلين على الزواج، مازالت بعض العوائل المعروفة في إدلب متمسكة بالعادات والتقاليد السابقة في طريقة الخطبة، فكانت العادة بأن يصطحب أهل العريس جاهة من أقرباء العريس وكبار جهات الحي وبعض التجار الكبار في المدينة وإقامة عزيمة غداء عند (التلبسة).

يتمشى أهل العريس وأهل العروس مع غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار، ويتغاضى الطرفان عن الكثير من المتطلبات، فلم تعد أغلب العائلات تطلب مهراً مرتفعاً لبناتها، كما لم تعد تطلب العريس بكمية كبيرة من الذهب واللباس، ولم يعد أهل العروس يشترطون على المتقدم لبناتهم أن يكون لديه منزلاً. يقول الحاج مصطفى «تقدم لخطبة ابنتي مهندس مبتدئ، أحواله متوسطة لم يستطع أن يقدم لها في فترة الخطوبة إلا محبساً من الذهب، ومع ذلك أنا كنت موافقاً وسعيداً بذلك، لأنه ذو أخلاق حميدة ويملك عملاً جيداً يمكنه من أن يؤمن دخلاً مقبولاً».

«اختصرنا الكثير من العادات التي كنا نقيمها قبل ثلاثة سنوات، فلم نتمكن من فتح موائد الطعام الضخمة للمعازيم بسبب غلاء أسعار اللحوم والفواكه وإغلاق المحلات التي كان تصنع (المناسف) المخصصة للأفراح، واقتصرت ضيافتنا على حلويات الأفراح المغلفة».

معظم حفلات الزفاف تقام إرضاء لرغبة العروس، ويتمل أهل العريس جميع تكاليف حفلة الزفاف رغم غياب ابنهم عن حفل زفافه في الكثير من الأحيان، فأغلب أهالي إدلب باتوا اليوم يزوجون بناتهم بنفس الطريقة، العريس يأتي برفقة أهله ويتقدم لخطبة الفتاة ويسافر خارج البلاد، هرباً من الخدمة العسكرية، وبعد أن يستقر وضعه يقيم أهله حفلة زفاف للعروس دون وجود العريس لتسافر بعدها ملتحقة زوجها، كالدكتورة ميس، التي تزوجت حديثاً في السعودية، والتي تقول لسوريتنا «لم تكتمل فرحتي في حفل الزفاف لأن زوجي لم يكن حاضراً، ولكن ما خفف علي هو أن حالي كحال جميع الفتيات السوريات، ففي نفس الطائرة التي توجهت فيها إلى الدمام تعرفت على أربع فتيات تزوجن حديثاً وكانوا ذاهبين لأزواجهن، والبعض من هؤلاء الفتيات كانوا ذاهبين ليقابلوا أزواجهن للمرة الأولى، فكانت جميع لقاءاتهم السابقة مقتصرة على مكالمات السكايب؛ ربما وضعي أفضل من وضع غيري قليلاً لذا شعرت ببعض التفاؤل».

أصبح شيئاً اعتيادياً أن يكون أول سؤال يوجه للفتاة وأهلها عند إعلانهم للخطوبة «خطبة سكايب أم عادي؟» فلم تقتصر التجاوزات على تقاليد حفل الزفاف فحسب، بل كسرت

رغم المواجه التي خيمت على بيوت السوريين، عدنا لنسمع في مدينة إدلب وبعض القرى الريفية أصوات حفلات الزفاف وأصوات قرع الطبول، بعيداً عن الحزن وهرباً لحظياً من أسى الموت، لكن هذه الأعراس ليست كأعراس الماضي، لأهالي إدلب عادات وتقاليد يتبعونها في أفراحهم، لكن لم نعد نجدها رغم عودة حفلات الزفاف، فهي افتقدت نكهة التقاليد المتبعة في هذه المحافظة وخاصة في الأرياف.

شهد العامين السابقين انخفاض في نسبة الشبان المقبلين على الزواج في مدينة إدلب، كما كانت معظم حفلات الزواج تقتصر على لمة بسيطة من الأصدقاء والأقرباء المقربين جداً، أما اليوم تتخذ بعض العائلات في إدلب خطوات جريئة بالعودة لإقامة الحفلات في الصالات واستخدام مكبرات الصوت ودعوة أعداد كبيرة من الناس، كالسيد أبو همام الذي زوج ابنه الشهر الفائت وقال لـ «سوريتنا»: «عارضني الكثير من أصدقائي وأقربائي عندما قررت أن أقيم حفلة زفاف لابني في صالة الأعراس، ولكنني كنت مصراً على ذلك، لأنني أريد أن أنسى عائلتي أجزائها ولو لساعات، ولاحظت الآن أن الكثير من أهالي إدلب قد تشجعوا على إقامة الحفلات».

رغم عودة حفلات الفرح ولكن الناس قد غيرت الكثير من عاداتها، فقبل ثلاث سنوات كانت الحفلات تبدأ عند منتصف الليل وتستمر حتى الصباح، لكن الأوضاع الأمنية السيئة في المدينة جعلت من أصحاب الحفل يقيمونه عند الظهيرة، كي يتمكن أكبر عدد من المدعوين الحضور والعودة باكراً إلى منازلهم، وتقول والدة العريس همام



مدينة سلقين في إدلب

على حافة الهاوية

■ خالد كنفاني



من يبقى اليوم في أوطان هجرها أهلها؟

كم بقي منهم ولماذا بقوا؟

في هذه الأيام تجري أكبر عملية "ترانسفير" في التاريخ الحديث.

يهيم الناس على وجوههم في البر والبحر والجو هرباً من الموت وبحثاً عن الحياة.

"استقبلت الأوروغواي 120 سورياً الأسبوع الماضي"، تتكاثر هذه الأخبار يوماً بعد يوم لتؤكد عملية التهجير الممنهجة، بينما تتكاثر أخبار الموت القادم من الأرض والسماء على أهل العراق وسوريا (أو ما تبقى منهما) لتندفع باتجاه هذا التهجير.

يفرّ الناس من منازلهم لمجرد اقتراب مقاتلي تنظيم الدولة من قرأهم ومدنهم وكأنهم ينتظرون بركاناً ثائراً يمحو في طريقه الأخضر واليابس.

لم نعد بحاجة للكثير من الفهم والتفكير لنعرف طبيعة ما يجري في العراق وسوريا، فالقتل المستمر في البلدين منذ سنوات يستهدف مناطق بعينها مما تسبب بتهجير الملايين من سكان المناطق السنية بشكل واضح جداً، ورغم محاولتنا تجنب الأحاديث الطائفية غير أنه لم يعد من الممكن التعلمي عن الحقائق في ظل كل الأحداث المتسارعة.

ورغم قيام داعش بتهجير بعض المسيحيين واليزيديين في العراق وسوريا إلا أن الكم الأكبر من المهجرين هو من السنة ناهيك عن استقبال معظمهم في بلدان اللجوء وخاصة الأوروبية والأمريكية وكذلك تركيا وهو ما يلفت النظر وخاصة في غياب التصدي لنظام الأسد رغم أن طيران التحالف يلق فوق سوريا يومياً ويضرب ما يزعم أنه مواقع لداعش دون الاقتراب من مناطق نفوذ النظام السوري الذي يتكفل بتدمير هذه المناطق.

تجري حالياً عملية إعادة رسم خارطة المنطقة بكيئتها ولا يبدو أن دول الخليج ستنجو من هذا السيناريو رغم دفعها للاتصالات الضخمة لولي الأمر الأمريكي، فإيران المتربصة بالخليج والتي تجري اتصالات لم تعد سرية مع الولايات المتحدة والأوروبيين وهي لا تنوي التوقف عند العراق بل تتطاول مشاريعها لما هو أبعد من ذلك في ادعاء أحقيتها في البحرين والكويت وجزر الإمارات بما يضمن لها التحكم في مضيق هرمز بعد أن حقق الحوثيون نصراً تاريخياً في اليمن وأحكموا قبضتهم على مضيق باب المندب.

يوماً بعد يوم تثبت إيران أنها وعلى مدى عقود منذ سقوط الشاه وهي تعمل على إنشاء الامبراطورية الفارسية وإعادة إحياء مجدها تحت عباءة طائفية تقدم نفسها كنموذج منافس للخصم السني التقليدي في السعودية. وتم إغراق العراق في حرب طويلة الأمد مع إيران على مدى ثماني سنوات وقام الخليجيون بدفع المليارات لحليفهم السابق صدام حسين الذي وقف سداً منيعاً في وجه المشروع الفارسي، غير أن وقوف العرب بعد ذلك في صف التحالف الدولي وحصار العراق ومن ثم القضاء على صدام حسين عام 2003 فتح المجال قوياً أمام إيران لإحياء مشروعها، وكان سقوط العراق في ذلك العام بمثابة الفاصل التاريخي الذي دخلت بموجبه إيران إلى العراق بعد حلم طال ألف سنة في السيطرة على مقدرات العراق ونشر القيم المذهبية لمجرد الحصول على غطاء ديني لهذا المشروع الذي يراد

له الوصول حتى المغرب العربي.

ورغم كل التجاذبات الإعلامية والفرقعات الدبلوماسية بين الغرب وإيران فإن التفاهات تبدو على أوجهها بين الطرفين وهو ما يثير حفيظة الخليجيين الذين لا يزالون يدفعون الأموال الطائلة عندما يأمر أوباما بذلك لأن البديل سيكون البعير الإيراني في تكرار لسيناريو صدام حسين والعرب لا يزالون يدفعون ويدفعون.

غير أن الضجيج الأكبر هذه الأيام يدور حول الموقف المريب لتركيا من التحالف ضد داعش ومن الأحداث المأساوية في مدينة عين العرب حيث يتقدم أسرس تنظيم مسلح عرفته المنطقة إلى مسافة لا تزيد عن كيلو متر واحد من الحدود التركية بينما يتجاذب الأتراك الآراء حول المشاركة من عدمها وحول طبيعة المشاركة مع نفاق آخر متعلق بالموقف من النظام السوري في ادعاء تركي بأن الأخيرة ستتدخل إذا استهدف التحالف قوات النظام السوري، وهي أقوال وادعاءات لم تعد تنطلي على أحد كذلك بعد ثلاث سنوات من الوعود التركية الكاذبة وسياسات الحدود المفتوحة التي لم تنتج سوى تنظيمات مسلحة متشددة ونهباً وسلباً وتهجيراً لمئات الألوف من المناطق الشمالية بدعوى استقبال اللاجئين و"حسن وفادتهم".

فضحت تركيا نواياها العدائية تجاه الأكراد عبر موقفها مما يجري في عين العرب، وقتلت الشرطة التركية أكثر من أربعين كردياً في مظاهرات تطالب بتدخل الجيش التركي في عين العرب. إن تركيا تعلم حق المعرفة أنها أوقعت نفسها بين نارين: إما دعم الأكراد وبالتالي تقويتهم بما يشكل خطراً على الداخل التركي عبر مواصلة الأكراد لسعيهم لإنشاء وطنهم القومي الموعود، وإما السكوت عن ذلك وبالتالي دعم داعش وهو ما يبدو أنه حصل فعلاً، فالنسبة الأكبر من مقاتلي داعش وبالأخص الأجانب منهم دخلوا عبر تركيا كونهم يستطيعون الدخول إلى البلاد بدون تأشيرة مسبقة. وفي إحدى المقابلات التلفزيونية مع محلل سياسي على قناة العربية أرادت مقدمة البرنامج تحسين الصورة قليلاً عبر نشر خبر منع تركيا لألف مقاتل أجنبي من الوصول إلى الحدود السورية، وجاء رد المحلل بقوله: "منعت تركيا اليوم ألف مقاتل ولكنها سمحت بدخول عشرات الآلاف في السنوات القليلة الماضية".

لعبت تركيا حتى اليوم دوراً قذراً في سوريا ولا تزال، وهي لا تفتأ تظهر نفسها بموقف البريء المستهدف وخاصة بعد الإطاحة بالإخوان المسلمين في مصر وهو ما يخشى أردوغان تكراره في تركيا من خلال المؤسسة العسكرية القوية. وبعد كل الادعاءات بدعم الفلسطينيين وكل الحروب الإعلامية التي تخوضها تركيا ضد إسرائيل، غير أنها وفي العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة لم تقم تركيا حتى بسحب سفيرها في تل أبيب، بل هي موجة الاستنكارات ومناشدة المجتمع الدولي وغير ذلك مما تقوم به حكومات عربية كثيرة أيضاً.

ولا يزال الأتراك حتى لحظة كتابة هذه السطور مترددين (أو يظهرون ترددهم) في الدخول في التحالف الدولي ضد داعش والذي يبدو أقرب ما يكون إلى مجموعة أطفال يتداعون للعب في الحارة دون خطة مسبقة وبدون هدف واضح. وما يزيد الأخبار سخافة خبر موافقة باراك أوباما مثلاً على نشر أربعة آلاف عنصر من الحرس الوطني الأمريكي في ليبيا لمكافحة مرض إيبولا! ولا تنطلي هذه الأخبار سوى على الأغبياء من البشر وهم الصنف المفضل لدى القوى الكبرى للحياة في بلاد العالم الثالث، أما من يقع تفكيرهم في مستوى أعلى من ذلك فلا مكان لهم على هذه الأرض وعليهم إما أن يهاجروا أو يموتوا قهراً أو بالرصاص، لا فرق.

وصلت هذه المنطقة من العالم إلى حافة الهاوية تماماً، ولم يعد من قادر إلا وهاجر أو حمل السلاح، وسقط الفكر وسقطت معه شعارات الحرية وحلم الديمقراطية والتعددية بعد أن دخلت المنطقة أتون الصراعات الطائفية والعرقية بتدخلات دولية ومحلية وإقليمية متجاذبة بشكل حاد جداً. ويسأل المواطن البسيط اليوم: "هل استحق الأمر كل هذا الشقاء؟"

يبقى الجواب رهن التطورات في الأيام القادمة، ويا لها من أيام!

آخر الكلام: يقول محمود درويش:

بلادٌ علي أهبةِ الفجر. صرنا أقل نكأةً،

لأننا نَحْمَلُكَ في ساعةِ النصر:

لا ليبل في ليلنا المتلألئ بالمدمعية.

أعداؤنا يسهرون وأعداؤنا يشعلون لنا النور

في حلقة الأقبية.

موسم الإيبولا

بين السياسة والذعر العالمي

■ ياسر مرزوق

مجتمعات وحضارات عن بكرة أبيها. اليوم في عصر العولمة والعصر الأمريكي يبدو أن الأوبئة باتت في خدمة السياسة بعيداً عن المصادفة، فلنا أن نذكر أنه قبل حربها على أفغانستان بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية حكاية جرثومة "الإنتراكس" والحرب البيولوجية التي تشن على الشعب الأمريكي داخل وطنه، وكانت المبالغات الإعلامية في هذه الحكاية متجاوزة للواقع وحتى الخيال، وشاع أن ذلك هو التهديد لنزول قوات أمريكية برية على الأرض في أفغانستان، يسقط فيها ضحايا وتعود فيها جثثهم إلى وطنهم في حقائب البلاستيك، وذلك هو الموقف الذي يكرهه الشعب الأمريكي، وبخشاها كل رئيس أمريكي، لكن إذا تبدى أن أمريكا نفسها أصبحت معرضة لحرب بيولوجية داخل أرضها، إذن فإن المواجهة على الأرض بمثابة قدر مفروض لا مهرب منه أو مفر، لكن الشائع راح يتحول إلى اتهام بأن حكايات الحرب البيولوجية جاءت لتعطي للقيادة السياسية الأمريكية خيار توسيع أهداف الحرب، وفي مقدمتها ضرب العراق.

ولنا أن نذكر أيضاً ما قاله البروفيسور "ماليف" نائب مدير المعهد العالي للوبائيات لعموم الاتحاد السوفيتي سابقاً، بأن فيروس متلازمة عوز المناعة المكتسب "الإيدز" هو فيروس تركيبه مصنع في وكالة المخابرات الأمريكية، وماليف كان المسؤول عن الاتصالات الخاصة باتفاقية الأسلحة البيولوجية الموقعة بين نيكسون وبريجينيف عام 1972 في لقائهما في موسكو، والتي ظلت طي الكتمان إلى أن كشف سرها الرئيس جورج بوش الابن حين تسلم السلطة وصرح بأنه لا يعترف باتفاقية الصواريخ ولا باتفاقية الأسلحة البيولوجية ولا بمعاهدة كيوتو لحماية البيئة.

كما تجدر الإشارة إلى ما ورد في مقال بعنوان "كابوس مروع - أسرار منظمة الصحة العالمية"، نشر في 10 آب عام 2009، واشترك في كتابته الدكتور "سارة ستون" والصحفي "جيم ستون" والمحرر "روس كلارك". جاء فيه أن فيروسي أنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير من الفيروسات المركبة جينياً، وأن الأخير تم إطلاقه عن عمد لتبرير التطعيم الإجباري باللقاح المضاد الذي أنتجته شركة باكستر الأمريكية التي يملكها نائب الرئيس الأمريكي السابق "ديك تشيني".

ويؤكد هذه الفرضية ما ذكرته صحيفة الغارديان اللندنية في السادس من تشرين الأول عام 2005، بأن العلماء الأمريكيين الذين يعملون في "مراكز التحكم في الأمراض والوقاية منها" الحكومية في أطلنطا بولاية جورجيا، حصلوا على أجزاء من الفيروس الذي سبب وباء الأنفلونزا الإسبانية سنة 1918 وأدى إلى هلاك نحو 50 مليون شخص، ليجروا التجارب في مختبراتهم على خريطة رموزه الجينية. وقد حصل هؤلاء العلماء على أجزاء من الفيروس من ألياف رثة امرأة ماتت متأثرة بالأنفلونزا الإسبانية حينذاك، وظلت جثتها مدفونة تحت الجليد في الأسكا، فعاد

الدفاع عن المجتمع "الصفحة 233، 234 موضحاً العلاقة البيولوجية التي تجمع السياسة بالصحة: "إذا كانت بداية التكوين العلمي للطب قد اقترنت بالقرن الثامن عشر، فإن الاهتمام السياسي بالصحة والجسد يعود إلى ما قبل هذا التاريخ، فهو يعود إلى القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، بل وإلى ما قبل هذا التاريخ مادام الموت والحياة اعتباراً داخل المجتمعات السابقة على القرن السابع عشر - يحيل ميشيل فوكو على الإمبراطورية الرومانية - ليسا من الظواهر الطبيعية المباشرة والأصلية التي تكون خارج السلطة السياسية...، إننا نجد للعاهل حق الحياة والموت على الرعية وفقاً للقانون؛ وعليه فإن حياة وموت الرعية، لا يصححان حقاً إلا بإرادة العاهل".

ويضيف فوكو: "إن هذه السلطة على الحياة التي تمثلت داخل المجتمعين القديم والقروسطي في الحق في الإماتة والإبقاء على قيد الحياة، تستبدل داخل المجتمع الحديث بسياسة حيوية جديدة، تتجسد في سلطة الإحياء بدل الحق في الإماتة، ورفض الموت بدل الحق في الإبقاء على قيد الحياة، وذلك بعد أن جعلت الدولة لنفسها مكاناً في التدخل في الحياة وطريقة الحياة ومستوى الحياة ورفع مستوى الحياة، والتحكم في الأعراض والحوادث والنقائص".

وفي مكان آخر من المرجح السابق يقول: "لقد كانت الغاية الأساسية من خلق هذه السلطة على الحياة، هي التحكم أولاً في نسبة الولادة والوفاة وتجنب الموت الدائم الذي يهدد البشر، من خلال تجنب الأمراض القاتلة وأسباب وجودها، لأن هذه الظواهر أي الولادة، ومعدل الخصوبة والإنجاب، والأمراض تهدد بشكل مباشر الإنتاج، وتساهم بوجودها في ضعف الإنتاج وانخفاض وقت العمل وتدني الطاقة وارتفاع التكلفة الاقتصادية، إنها تتسبب في نقص الإنتاج والعلاج المكلف".

كما يقول في كتابه "تاريخ الجنسانية إرادة العرفان" الصفحة 118: "إن الدافع لنشوء هذه السلطة البيولوجية" وتشكلها، ليس اقتصادياً فقط بل سياسياً، يمكن وصفه بالإتجاه نحو دولة الصحة، بعد أن أضحت سؤالاً سياسياً واجتماعياً، تقاس من خلاله جودة الأنظمة السياسية وسونها"، واستناداً لفوكو يمكن القول بأن الأطباء والمؤسسات والسياسات الصحية ليست سوى الأدوات تستعملها الدولة ضمن تكنولوجياتها السياسية للحياة.

وبعيداً عن سلطة الدولة وعلاقتها بالصحة، نجد أمثلة تاريخية كانت فيها الأوبئة في خدمة السياسة والتوسع وإن من باب المصادفة التاريخية، فخلال الغزو الأوروبي للأمريكيتين كان السل الروي والجدري يستوطنان القارة الأوروبية منذ قرون طويلة، وهو ما سمح للأوروبيين بتوليد مناعة نسبية ضد هذين المرضين. ولكن عندما حمل المستكشفون هذه الأمراض إلى العالم الجديد، دفع السكان المحليون ثمناً فادحاً لها، بسبب عدم تمتعهم بأية مناعة ضدها، وهو ما أدى إلى انقراض

مغرر داعش يغرز في عين العرب، بينما عين البشرية غافية متعامية، وأهل كوبياني كفوا عن الاستغاثة وهم ينتظرون "كاوياً الحداد" ليأتي من خلف الجبال ويوقد ناراً ليجمع الكرد على قتل شارب الدماء، وفي المحيط مسارات ثورية هي أكثر تعبيراً عن مشاعر الغضب والوجع والرفض المتركمة عبر أربعة أو خمسة عقود من الزمن، مما هي صادحة بموسيقى المستقبل، وفي المحيط أيضاً قتل للحياة، تلتهم داعش وسط وغرب العراق، بينما التحالف المزعوم يقوم بضربات استعراضية، ويدافع نظام الأسد عن اهتراء شرعيته بالقتل، والقتل بأبشع صورته.

وأمام اللعنة التي أصابت الحراك الثوري العربي، يقف ساكن البيت الأبيض متلطياً متردداً، في حين أن ما يحدث في المنطقة بأسرها سيودي بالسلم والأمن الدوليين إلى الهاوية، وفجأة وفي غمرة الموت يخرج باراك أوباما، وحفاظاً على شعبيته التي تنزف منذ شهور، بقرار إرسال ثلاثة آلاف من القوات العسكرية الطبية إلى أفريقيا لمكافحة الإيبولا.

واكب هذا القرار طلب من الإدارة الأمريكية للأمم المتحدة لاعتبار الإيبولا حالة تهدد السلم والأمن الدوليين. وفي غضون ساعات بدأ الإعداد للتحرك وبصيغة عسكرية في التنفيذ. ويتمثل العمود الفقري للتحرك الولايات المتحدة في توفير القيادة العسكرية لجهود التصدي للوباء، والعمل على إنشاء وحدة إقليمية للقيادة والمكافحة في المحيط الإفريقي. ويتضمن إنشاء قاعدة انطلاق عسكرية لتيسير تنسيق الاستجابة الأمريكية والدولية، ولتسريع نقل المعدات والإمدادات والموظفين بما في ذلك الآلاف الثلاثة من الجيش.

قرار أوباما الأخير يبدو مثيراً للاستغراب، فكيف لمن صممت على قتل مئتي ألف سوري أو أكثر وتشرية الملايين، أن يستنفر لوفيات تعد أربعة آلاف موزعة على سبع دول، بل وأن يعتبر الوباء الأفريقي تهديداً للسلم والأمن الدوليين، لكن إذا ما قارناه في ضوء نظرية المصلحة التي تحكم سياسة البيت الأبيض، فإن القرار شديد المنطقية، فالتدخل العاجل مكلف أيضاً وستجد بلدان أفريقيا نفسها مسؤولة عن تسديد فاتورة التدخل الأمريكي. ومن هذه الدول نيجيريا الغنية بالنفط وزائير الغنية بالثروات المعدنية التي تلاحقها فزاعة إيبولا، التي أنيط بها تشريع الوجود الأمريكي في غرب إفريقيا ووسطها لاحقاً، في ملفنا اليوم قراءة لوباء إيبولا، وقراءة لعلاقة الصحة بالسياسة، وعلاقة الصحة في صنع القرار الدولي.

عن الصحة والسياسة

طرح علاقة بين الصحة والسياسة أو الأوبئة والسياسة قد يبدو مجانباً للصواب، لكن نظرة أكثر عمقا ترجح أن الصحة تدخل في صلب السياسة وصلب بناء النظام السياسي والعلاقات الدولية، في عصر العولمة بخاصة، يقول "ميشيل فوكو" في كتابه " يجب

الفيروس إلى الحياة بعد نحو 87 عاماً.

ووفقاً للصحيفة المذكورة، استنطاق العلماء جميع أجزاء الفيروس بدقة فائقة، فتمكنوا من قراءة رمزه الجيني بشكل كامل قبل أن يقوموا ببناء سلسلة رموزه الجينية من البداية، وبهذا أصبح الفيروس متوفراً لديهم في مختبر "معهد القوات المسلحة لعلم طب الأمراض" في ولاية ميريلاند، الذي يحوي أيضاً فيروس إيبولا والجمرة الخبيثة والجدرى والبروتينات السامة.

ولا بد من الإشارة إلى أن مختبر ميريلاند أنف الذكر كان المورد الأكبر للجراثيم المستخدمة في أسلحة الدمار الشامل وخاصة جراثيم التولاريميا وفيروسات التهاب الكبد المصنعة خاصة V. C، التي استخدمت عام 1993 في حرب البلقان الأولى عن طريق الطائرات بدون طيار وعن طريق الرزاز من الحدود البلغارية.

إيبولا

يندرج مرض إيبولا تحت تعريف الوباء وهو انتشار مفاجئ وسريع لمرض في رقعة جغرافية ما فوق معدلاته المعتادة في المنطقة المعنية، وأول حالة سجلت لمرض إيبولا كانت بالتزامن في زائير والسودان عام 1976، حيث توالى الوباءات الغامضة في المنطقة المذكورة، وتزايد العدد في قرية "يامابوكو"، مما دعى السلطات الزائيرية للاستعانة بخبراء من المعهد البلجيكي للطب الاستوائي، توجهوا للقرية المذكورة، حيث الإصابة الأولى المعروفة "ناظر مدرسة القرية"، والتي انتشرت بسرعة إلى سكان القرية، وقرر الفريق البلجيكي تسمية الفيروس "إيبولا" لظهوره قرب نهر إيبولا، ومن المرجح أن إيبولا أصاب الناس قبل ذلك بكثير في الماضي حيث يزعم بعض المؤرخين أن إيبولا كان مسؤولاً عن طاعون في أثينا الذي ذكره المؤرخ اليوناني "ثيودوروس" كونه تسبب في وفاة الجنود اليونانيين الذين كانوا يشنون معركة ضد إسبارطة، وقضى الطاعون على أكثر من ثلث سكان أثينا، ووصل المرض إلى إثيوبيا وقتها.

عام 1995 وفي زائير أيضاً ظهر المرض في بلدة "كيكويت" حيث أودى بحياة اثني عشر فرداً من عائلة واحدة كما انتقل المرض إلى هيئة العاملين في مستشفى البلدة، وسرعان ما انتشر المرض إلى بلدين آخرين في المنطقة، وصار محتماً طلب المساعدة، فتوجه أحد العلماء وقام بجمع عينات من دم المرضى وقام بإرساله إلى مركز مكافحة الأمراض في أتلانتا في ولاية جورجيا الأمريكية. حيث أظهرت الأبحاث أن المرض هو "الإيبولا".

عاد المرض للظهور في كانون الأول عام 2013، ويعد ظهوره في غرب أفريقيا 2014 عام أوسع تفشى للمرض حتى الآن، حيث أعلنت منظمة الصحة العالمية أن حصيلة ضحايا إيبولا تجاوزت عتبة أربعة آلاف وفاة وفق آخر حصيلة نشرتها يوم الجمعة الماضي، وأفادت المنظمة أنه تم حتى الثامن من تشرين الأول الحالي تسجيل 8399 إصابة في سبعة بلدان وأدت إلى وفاة 4033 شخصاً، وقسمت الدول السبع المصابة إلى مجموعتين تضم الأولى الأكثر إصابة وهي غينيا وليبيريا وسيراليون، والثانية نيجيريا والسنگال وإسبانيا والولايات المتحدة، وسجل في ليبيريا العدد الأكبر من الإصابات مع 4076 إصابة بينها 2316 وفاة، وسجل في سيراليون 2950 إصابة بينها 930 وفاة. وفي غينيا 1350 إصابة و778 وفاة.

بينما سجلت نيجيريا 20 إصابة بينها 8 وفيات، وحالة وفاة في الولايات المتحدة وإصابة



المختبر مع مجهر إلكتروني حديث جداً له القدرة على تصوير الجزيئات، وهو غير متوفر غالباً في مناطق غرب إفريقيا التي يعاني القطاع الصحي فيها من مشاكل مزمنة.

علاج الإيبولا

في البدايات، تمكّن العلماء من إنتاج مضاد حيوي أو مثبّط لعمل الفيروس، وحققوها في ثلاثة خفافيش، لكن النتائج بينت لاحقاً أن الخفافيش ماتت، كما ماتت من قبلها قروذ الشمبانزي والغوريلا بسبب فيروس إيبولا، توالى بعدها الأبحاث في كل من ألمانيا ومستشفيات الجيش الأمريكي وتم التوصل إلى حلول جزئية للمرض.

وحتى اليوم لا يوجد علاج أو لقاح مرخص ضد الفيروس ولذلك فإن وكالة الصحة العالمية تستعجل اللقاحات التجريبية في غياب خيار آخر، مما يثير جدلاً أخلاقياً واسعاً، حول تطبيق علاجات على البشر دون استكمال الوقت المتعارف عليه عالمياً للاختبار.

في هذا الصدد قالت منظمة الصحة العالمية أن آلاف الجرعات من لقاح فيروس إيبولا التجريبي من شركتي GSK البريطانية والأمريكية ستكون جاهزة للاستخدام بحلول أوائل عام 2015 في البلدان المتضررة من هذا الوباء، وقال المدير العام المساعد لمنظمة الصحة العالمية ماري بول كيني: "إذا كان كل شيء على ما يرام، فسنكون قادرين على البدء في استخدام بعض من هذه اللقاحات في بعض البلدان المتضررة في بداية العام المقبل".

في الختام بين السياسة والاقتصاد والمصالح تزهق أرواح وتنتهك دول بأسرها، فيما البشرية عاجزة عن تحقيق أحلام راودتها منتصف القرن الماضي عن مجتمع يسوده السلم والأمن، وعالم تبني فيه العلاقات الدولية على أساس التعاون والمصالح المشتركة.

* كاوا الحداد: أسطورة كردية عن حداد في الإمبراطورية الآشورية، وكان الملك الآشوري الحاكم مصاب بمرض جلدي، وكان الملك يطلب من كاوا الحداد كل يوم دم رجل كردي كي يغتسل به حتى يشفى من مرضه، فكان الحداد يأخذ الرجال إلى الجبل ويذبح حيواناً ويأخذ دمه إلى الملك ليغتسل به، حتى جمع كاوا الحداد الكثير من الأكراد في الجبل وشكل منهم جيشاً وأخبرهم بأنه عندما يوقد النار يجب عليهم أن يندحروا لأنه يكون قد أنقذ على فريسته وقتل الملك الآشوري وبدورهم هجموا وهدوا أسوار مدينة نينوى وقضوا على الجيش الآشوري الجبار الذي قهر أقوى الجيوش كالفراعة.

في إسبانيا. وأخرى في السنغال أما زائير فتشهد انتشار وباء إيبولا بنسخة مختلفة من الفيروس سجلت 71 إصابة بينها 43 وفاة.

الانتشار والتشخيص

لا توجد حتى اليوم دراسة معتمدة لتحديد آليات انتقال وانتشار المرض ويعتقد أن المرض يحدث بعد انتقال فيروس الإيبولا إلى الإنسان عن طريق الاتصال مع سوائل جسم الحيوان المصاب، ويصنف خفاش الفاكهة بوصفه يحمل الفيروس ويقوم بنشره دون الإصابة به، وقد تسقط الخفافيش الثمار المأكولة جزئياً واللح على الأرض، ثم تقوم الثدييات مثل الغوريلا والظباء بالتغذي على هذه الثمار الساقطة. هذه السلسلة من الأحداث تشكل وسيلة محتملة غير مباشرة لانتقال الفيروس من المضيف الطبيعي للمجموعات الحيوانية، مما أدى للبحث نحو إفراز الفيروس في لعاب الخفافيش. إنتاج الفاكهة، سلوك الحيوان، وعوامل أخرى تختلف في أوقات وأماكن مختلفة قد تؤدي إلى انتشار المرض.

أما انتقال العدوى من الإنسان إلى الإنسان فيتم عن طريق الاتصال المباشر مع الدم أو سوائل الجسم من شخص مصاب أو ملامسة شفرات حلاقة أو معدات طبية ملوثة، وخاصة الإبر والمحاقن، كما لا يستبعد انتقال العدوى عن طريق الفم والملتحمة، من هنا فإن احتمالات العدوى على نطاق واسع لمرض إيبولا الفيروسي منخفضة حيث أن المرض ينتشر فقط عن طريق الاتصال المباشر مع إفرازات من شخص حامل للفيروس، ولا يوجد دليل موثق على الانتشار من خلال الهواء في البيئة الطبيعية.

ويؤدي الإيبولا إلى ظهور الحمى والوهن الشديد، وإلى آلام في العضلات، والصداع والتهاب الحلق، ومن ثم التقبؤ والإسهال وظهور طفح جلدي واختلال في وظائف الكلى والكبد، والإصابة في بعض الحالات بنزيف داخلي وخارجي على حد سواء. وتظهر النتائج المخبرية انخفاضاً في عدد كريات الدم البيضاء والصفائح الدموية وارتفاعاً في معدلات إفراز الكبد للأنزيمات. وتتراوح فترة حضانة المرض، الممتدة من لحظة الإصابة بعدواها إلى بداية ظهور أعراضه، بين يومين اثنين و21 يوماً.

ويتصف هذا المرض بمعدل وفيات مرتفع؛ حيث يودي بحياة ما بين 50% و90% من الأشخاص المصابين بعدوى الفيروس، كما تظهر خطورته في أن أعراضه المبكرة قد تكون ماثلة لتلك التي من الملاريا الحمى المدارية الأخرى، قبل أن يتطور المرض إلى مرحلة النزيف، ولا يتم التعرف عليه إلا عن طريق فحص دم أو بول أو لعاب من قبل

تركيا لها مصالحها وطموحاتها، وهذا مشروع دولياً، لكن علينا أن ندرك أن تركيا تعمل كدولة وليست كقوة، القرار والتدخل العسكري ليس قراراً أردوغانياً أو أغلويًا، إنما هو قرار سياسي يقرره رجال دولة، للمؤسسة العسكرية وزنها في هذه الدولة العلمانية.

كل الضغوط التي تتلقاها تركيا من الولايات المتحدة الأمريكية والتحالف الدولي وقوى سياسية كردية تركية وإعلام عربي للتدخل العسكري البري في الداخل السوري، يدخل ضمن خارطة طريق مصنوعة في مكاتب الكونغرس والبنطاغون، لتحقيق أهداف بعيدة المدى، قد نستطيع وضع معالم لها عندما نرى كسوريين المصلحة الوطنية السورية.

تركيا كدولة لا تمنع في التدخل العسكري البري في سورية من أجل كوباني - عين العرب وغيرها، لكن ثمة شروط وثمان تريد أن تقبضه لهذا التدخل، وهذا أيضاً مشروع دولياً، كضمانات بعدم قيام كيان كردي على حدودها الجنوبية مع سورية وتضمين إسقاط نظام الأسد في سلة أهداف التحالف وزيادة نفوذها، اقتصادياً على الأقل، في سورية بعد سقوط النظام، وقد يكون هناك شروط أخرى لا ندرکها بعد. كل ما ذكر لم يتحقق حتى هذه اللحظة. نحن السوريون ماذا نريد؟ هل نريد تدخلاً عسكرياً برياً تركيا أو غير تركي، أم ماذا؟

- لو فرضنا أن ما يسمى بالائتلاف الوطني لقوى المعارضة والثورة يمثل شيئاً على الخارطة السورية، الغالبية مع تدخل عسكري أجنبي، تبعاً لمصالحها، وهذا ليس مقياس سياسة وطنية تمثل ثورة أهدافها الحرية والكرامة.

- المعارضة التقليدية في الداخل ترفض أي تدخل أجنبي بالمطلق وليست ضمن واقع أن سورية صارت جملة معقدة من التدخلات الأجنبية سياسياً وعسكرياً واستخباراتياً، ولا تتوانى عن تذكير الجميع بما قالته وحذرت منه منذ بداية الثورة في متواليه مملّة من التذكير والاستدكار.

- المعارضات الداخلية الثورية ورغم حسنها الوطني العالي فهي تعاني كل أشكال العنف من النظام ومن سطوة التنظيمات العسكرية التي تفرض أجندها بقوة السلاح وقوة التمويل، وبالمجمل المعارضات الداخلية الثورية هي هدف الجميع وجسر عبور الجميع لتحقيق أجندها المال السياسي وهي مشرزمة وغير قابلة واقعيًا للتوحد، رغم المحاولات الحثيثة لتحقيق ذلك.

أعتقد، أن المصلحة السورية الوطنية تستوجب دراسة الاحتمالات المستقبلية للتدخل العسكري القائم المتمثل بالضربات الجوية لطيران التحالف الدولي ضد داعش، وأيضاً للتدخل العسكري البري لأي قوة عسكرية أجنبية، تركية كانت أم غيرها، ودراسة الامكانيات التي قد تفيد الثورة والأهداف الوطنية.

* المصلحة الوطنية السورية تفترض أن الضربات الجوية للتحالف الدولي ضد قوات تنظيم الدولة في العراق والشام (داعش) مفيدة ومهمة للحد من توسع هذا التنظيم الإرهابي الذي أصاب السوريين والناشطين الثوريين والاعلاميين كما أصاب منهم النظام الأسد وأكثرت، ولكن أجنده التحالف الدولي، الذي تملك الولايات المتحدة الأمريكية قبضة القرار فيه،

ضبابية وغير واضحة في تحقيق عنصر أساسي ومطلب رئيسي للثورة وهو إسقاط النظام الأسد ومحاسبته على جرائمه ومجازره بحق السوريين وبحق الوطن ومستقبله، والشكوك قائمة بأن هناك تعاون قائم بين النظام وأمريكا في مواضيع كثيرة، منذ اليوم الأول من الثورة. بالإضافة إلى أن الضربات الجوية الدولية ضد تنظيم داعش لا تقوّض انتشار هذا التنظيم، لا بل على العكس تزيد توسعه وبعتراف القادة العسكريين الأمريكيين. بالتالي فالسوريين لا يثقون بهذا التحالف ويرون فيه خطراً مطلقاً وحقيقياً على وطنهم ومستقبلهم، وإضعافاً لقوى ثورية عسكرية تقاوم النظام.

* المصلحة الوطنية السورية تفترض التقرب من القوى الكردية السورية، ومطالبتهم أيضاً بالتقرب إلى الحالة السورية، والابتعاد عن المسميات التي تستفزّ شركائهم في الوطن. لأن حل المسألة الكردية في سورية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال حل الأزمة الوطنية السورية ككل في دولة المواطنة وإلا فإننا بذلك نؤسس لصراعات مستقبلية ستترتب عليها نتائج لا ترضي الجميع.

* المصلحة الوطنية تفترض أن لا نرحب بأي تدخل أجنبي من حيث المبدأ ولكن يمكننا في أضعف الأيمان أن نطالب بتدخل مشروط يضع ضمن استراتيجيته أهداف وطنية وأهداف الثورة منها:

1 - إسقاط النظام أو كف يد النظام الجوية التي تقتل وتقصف المدنيين.

2 - أن تتعهد كل دولة بالحفاظ على وحدة الأراضي السورية ومؤسسات الدولة فيها وتسليمها لقوى وطنية، تخرج من الداخل وهي قوى تحتاج لدعم الجميع لتوحيدها وتسليحها وضبطها.

3 - عدم فرض شكل النظام وشكل الدولة على السوريين وإنما المساعدة قدر الامكان على تشكيل قوى وطنية حقيقية لقيادة المرحلة الانتقالية ضمن مدة زمنية محددة تعمل هذه القوى على التأسيس لدولة المستقبل السورية وعلى أساس دستور وطني جامع وليس دستور

محاصصات طائفية أو إثنية.

4 - المساعدة في إعادة بناء البنية التحتية للوطن دون إغراق الاقتصاد السوري بالديون ثم التبعية المستقبلية والمساعدة في عودة النازحين السوريين إلى مدنهم وقراهم وفي إعادة العجلة الاقتصادية الوطنية من جديد.

5 - التعهد الواضح بمنع أي أعمال إنتقامية شخصية أو جماعية والتأسيس لقيام قضاء سوري وطني يحاكم على الجرائم بكل أشكالها التي حدثت منذ آذار 2011

إن هذه المطالب يمكن أن تقوم بداية بأشكال شعبية، ثم تقوم بمبادرات لتجميع وتوحيد هذه الأشكال الشعبية لتأسيس رأي عام وطني يخرج معه بشكل مرحلي وتصاعدي قوى وطنية تكون صوتاً للسوريين ولطموحاتهم.

لكن بالمقابل ماذا سيقدم السوريون للعالم وللشعوب التي صارت فاعلة على أرض الواقع؟ وهل بإمكانهم وضع ميزان وطني لما سيقدموه ولا يطال السيادة الوطنية؟ بعيداً عن نظام الأسد الذي يبيع كل سورية من أجل بقائه، ثم يجاهر وبكل فجور، بضرورة التنسيق الدولي معه للاعتداء على الوطن.

من ناحية أخرى، على السوريين أن يدركوا أن كل الدول الفاعلة اليوم في الأزمة السورية ستعمل بكل قواها على منع قيام أي رأي عام وطني، فكيف القيام بتكوين جبهة ثورية وطنية تمثل الحد الأدنى من الاجماع الوطني السوري، تقبل الطاولة عليهم وتغير معادلات الصراع لصالح الثورة ولصالح المصير الوطني لسوريا القادمة.

إن المبادرة لبناء رأي عام صار واجباً وطنياً حقيقياً وعند تحقيق ذلك يمكن الانطلاق للعمل على تشكيل ذاك التكوين الوطني الثوري الذي سيكون مصدره ونواته القوى الثورية في الداخل متكاملة ومتممة بسوريي الخارج وليس العكس. على السوريين أن يتعلموا أن لا يفرطوا بمصالح وطنهم مهما كانت الظروف، والاستفادة من تناقضات الآخرين لتحقيق المكاسب الوطنية في الوضع الضعيف الراهن.



د. أحمد حمدي الخياط 1899 - 1981

ياسر مرزوق



ولد أحمد حمدي بن محمد علي الخياط في دمشق عام 1899، لآل الخياط الأسرة الدمشقية العريقة التي قدمت للتاريخ السوري خبرة الأكاديميين. تلقى علومه الأولية في المدرسة الكاملة، وأتقن صناعة الأسرة في الحفر على الخشب وتطعيمه بالصدف وزخرفته.

وتجدر الإشارة بأنه وعلى الرغم من هجر أبناء آل الخياط لحرفتهم التاريخية، بقي منهم «أبو سليمان» محمد علي الخياط الملقب بمايكل أنجلو العرب الذي أشرف على ترميم قصر بيت الدين في لبنان عام 1920، وترميم قصر العظم عام 1924 كما أنيط به أعمال الزخرفة العربية داخل وخارج مبنى مؤسسه عين الفيحة، وتزيين قاعة البرلمان عام 1947.

وبالعودة إلى أحمد الخياط فقد انتسب إلى مدرسة الطب العثمانية التي سعى الوالي التركي «حسين ناظم باشا» إلى إنشائها لتدريس العلوم الطبية وفق الطرق الحديثة، وصدرت إرادة السلطان «عبد الحميد الثاني» في 27 أيلول 1901 بتأسيسها، وعُهد إلى أمير اللواء الطبيب «فيضي باشا» بتنظيمها، وتم تعيين أساتذة لها من «الأسنانة» لتدريس الطب والصيدلة فيها باللغة التركية. واتخذت مقراً لها مبنى «ريوار باشا» الذي كان يقع بين ما يسمى حالياً ساحة «ساحة عرنوس» والمستشفى الإيطالي.

وقد انتقلت هذه المدرسة إلى بيروت في أثناء الحرب العالمية الأولى واستقرت في أبنية ومشافي الجامعة اليسوعية، ونظراً للنقص الكبير في ملاك المدرسة بسبب الحرب كلفت الإدارة نقرأ من الطلاب المتفوقين بعض مهام الهيئة الطبية بالمشافي وأحياناً التدريس، وكان أحمد حمدي الخياط من أبرز هؤلاء الطلاب ولاسيما في حقل المخابر.

تخرج الخياط من مدرسة الطب في بيروت عام 1918 وعاد إلى دمشق، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث عين من قبل الجيش العربي مشرفاً على مؤسسة المصل والجراثيم التي أنشأتها الحكومة العربية على أنقاض مؤسسة حفظ الصحة العثمانية.

في أوائل عام 1919 استقال من العمل في الجيش، وانضم إلى قافلة الرعيّل الأول، من مؤسسي المعهد الطبي العربي بدمشق «كلية الطب لاحقاً»، الذي أعيد إلى دمشق، وهنا يقول الدكتور «رضاً سعيد» في إحدى مذكراته: «كانت أبنية المعهد الطبي» والمستشفى التي تركزت وأهملت أثناء الحرب تخربت وتصدعت ولم تعد لائقة بالسكن، والمدرجات أتلفت، والمخابر ومعداتنا نُقلت إلى معهد «بيروت» وضاعت، ولم يبق من المعهد الطبي القديم إلا البناء فقط، فكان الواجب يقضي بإيجاد جميع الأدوات والمعدات».

عين الخياط أستاذاً لفن الجراثيم والصحة. وفي هذه الفترة أسس مخبراً خاصاً للفحوص المخبرية المختلفة كان أول مؤسسة من نوعها في البلاد، وجدير بالذكر أن أول ما طبع

من كتب المعهد الطبي العربي، كان كتاب الدكتور الخياط «علم الجراثيم» ثم كتابه الثاني «فن الجراثيم».

ساهم الخياط في تخريج الدفعة الأولى من طلاب المدرسة الطبية العربية سنة 1919 من الذين ابتدأت دراستهم العلمية باللغة التركية وأنهوا السنة الأخيرة منها باللغة العربية، وبلغ عددهم ثمانية وأربعين طبيباً، نذكر منهم «يحيى الشماع، حودت الكيال، محمود الرئيس، أحمد ياسين العجة، كامل أشرفية، فؤاد قدح، زكي الشماع، حسني سبخ، وحيد حقي، فهمي الحموي، علي اللحام، زكي الورع، شريف الرفاعي، زكي الفحام، إسماعيل الأسطة، سعد الله كامل، سعيد موسى الأتاسي، أحمد شفيق نصري، محي الدين القوتلي، رياض الصفدي، وفائي البني، بهجت الأتاسي»، وقد انتظر المعهد الطبي حتى سنة 1930 ليخرج أول طبيبة في سورية هي السيدة «لوريس ماهر».

بعد سنوات قليلة من عمله في المعهد الطبي العربي، انتقل إلى فرنسا طالباً في معهد «باستور» وتلمذ على يد عددٍ من أعلام البحث في علوم الطب الذين يعملون فيه. ثم انتقل إلى برلين حيث قضى فترة دراسية تعلم فيها اللغة الألمانية، بعد أن أتقن الفرنسية، أما الإنكليزية فكان أتقنها عن طريق دراسته الخاصة، وكان من قبل يتقن التركية إتقاناً تاماً، إلى جانب إلمامه بعدد من اللغات الأخرى إلماماً محدوداً.

عاد إلى دمشق وأنشأ مخبره الخاص الذي كان أول مختبر من نوعه في سوريا، بالإضافة لاشتغاله بالتدريس في جامعة دمشق، وفي بداية الأربعينات كان للخياط الدور الرائد في تأسيس نقابة الأطباء عام 1944، وظل نقيباً للأطباء لسنوات ومارس مهامه بجدارة خاصة في فترة العدوان الفرنسي والاستقلال.

عين الخياط مديراً لكلية الطب بين عامي 1946 و1947، وفي الأربعينات أيضاً أسس في بيته صالوناً علمياً فريداً من نوعه، ففي دارته في دمشق كانت تعقد يومياً

جلساتٍ يحضرها عدد من كبار العلماء والباحثين والهواة، وقد قسم جلسات الأسبوع لتستوعب كافة العلوم والفنون، يوماً للطب، ويوماً للغة، وآخر للسمر، وقد توقف هذا الصالون نهائياً عام 1949 مع انقلاب حسني الزعيم.

كان الخياط ركناً من أركان التعريب الذي بات سمةً للتعليم الجامعي في سوريا، فحين شكلت لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب بجامعة دمشق، وقوامها مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي، عملت على وضع الترجمة العربية لمعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات «كلير فيل»، وهي أولى المحاولات لتوحيد المصطلحات، وقد طبع النص العربي لهذا المعجم في مطبعة الجامعة السورية سنة 1956، وعدد كلماته قرابة خمسة عشر ألفاً

وتلا إنجاز هذا المعجم تأليف «معجم العلوم الطبية» من قبل مرشد خاطر وطبي موسوعي يشتمل على المصطلحات الطبية مرتبة على أحرف الهاء الفرنسية، ومشفوعة بما يقابلها بالعربية والإنكليزية، وكل مصطلح معرف تعريفاً وأفياً، وقد قال عنه الخياط: «إنه يضم جهود أساتذة كلية الطب في جامعة دمشق، وما نشره في مجلة المعهد الطبي العربي وما كتبه فيما ألفوا من تصانيف لازالت تشهد لهم بالجد والدأب والعمل المخلص إضافة إلى ما كان وضعه الأطباء العرب الأقدمون، ثم ما وضعه الأساتذة الترك يوم كانت مصطلحاتهم كلها عربية أو تكاد، إضافة إلى ما وضعه أساتذة القصر العيني في القاهرة والكلية الأمريكية في بيروت قبل أن يبدل الأجانب لغة التعليم فيهما من العربية إلى الإنكليزية. وقد نفع هذا المعجم وأتمه ولده محمد هيثم الخياط، وصدر المجلد الأول منه».

عام 1958 أُحيل للتقاعد بعد أربعين عاماً من التدريس، وقد اختاره المجمع العلمي العربي لينتظم فيه عضواً عاملاً فاعتذر، واعتكف في منزله متفرغاً للبحث العلمي، إلى أن وافته المنية عام 1981 بعد صراع مع المرض.

رحل الخياط تاركاً للمكتبة الطبية إرثاً ثرياً نذكر منه:

- مدخل فن الجراثيم - ثلاثة أجزاء.
- صحة الأسرة.
- تذكرة الجراثيمي في مخبره - ثلاثة أجزاء.
- إصلاح النسل - مشترك.
- معجم المصطلحات الطبية «ترجمة» - مشترك.
- الجراثيم المؤذية - ثلاثة أجزاء.
- الجراثيم الطفيلية - ثلاثة أجزاء.
- فن الصحة والطب الوقائي - ثلاثة أجزاء.
- معلمة طبية على حروف المعجم، بالاشتراك مع الدكتور مرشد خاطر.

محمد جمال باروت؛ التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية

■ ياسر مرزوق

مارست القيادة الكمالية سياسة التطهير العرقي والديني بحق الأقليات.

فيما يبحث الفصل الخامس في ردة الفعل على هذه الهجرات عبر تعيينها في مقاربة «قلق الحركة الوطنية من موجات الهجرة»، إذ يقول: إن موجات الهجرات هذه أدت إلى قلق في صفوف الحركة الوطنية السورية، ومن جراء السياسة الإثنية الفرنسية من خلال دعم حركات انفصالية أو نظم خاصة لها، حيث اتهمت الحركة الوطنية السورية المفوضية الفرنسية بالعمل على الإكثار من الغرباء لإضعاف المجموع السوري، إلا أنه في المحصلة فقد كان لهذه الهجرات الأثر الإيجابي في إعمار الجزيرة لاحقاً.

الفصل السادس «إعمار الجزيرة» على مستوى تطوره وسيرورته وقوامه البشري وسياساته في المرحلة الانتدابية الفرنسية، مع سيطرة الأنتداب الفرنسي، على سوريا، حين بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الجزيرة هي مرحلة إعمارها بالهجرات الكردية والسريانية القادمة من تركيا، ثم الهجرة الأثورية من العراق ومحاولة سلطة الأنتداب تأسيس كيان كردي - كلدو - آشوري في الجزيرة في إطار سياستها الإثنية.

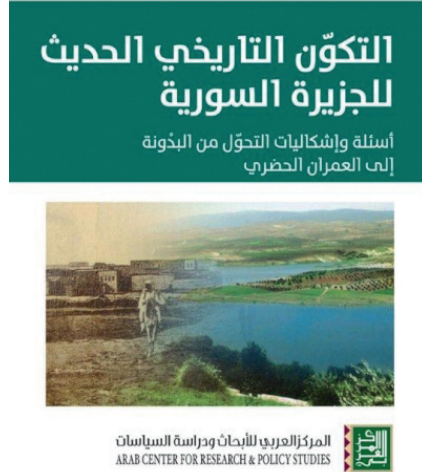
أما الفصل السابع فيتناول «مشروع الكيان الكردي - الكلدو - آشوري - البدوي في الجزيرة 1937 - 1939»، كما يبين الدور الفرنسي في ظهور مصطلح كلدو - آشوريين، الذي اعتبرته سلطات الأنتداب مسوغاً لقيام دولة كلدانية - آشورية بين دجلة في العراق والجزيرة في سوريا تحت الأنتداب الفرنسي، وفي مداغبة آمال الكرد بإقامة إمارة ذات حكم ذاتي لهم في مناطق من تركيا، والتي ما لبثوا وأن تراجعوا عنها بعد اتفاقهم مع تركيا الكمالية والتنازل عن تلك الأراضي للأتراك.

في الفصل الثامن والتاسع يسرد المؤلف التسلسل التاريخي للأحداث التي شكلت الجزيرة، وصولاً للجلاء، دون إغفال المشاحنات الفرنسية - البريطانية - التركية، على المنطقة.

أما الفصل العاشر فأفرد المؤلف للثورة الزراعية، ويتوقف في الفصل الحادي عشر عند «مشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين في سوريا: مشاريع الجزيرة وجونستون وتحويل نهر الأردن». حيث استقدمت الحكومة السورية بعد سيطرتها الإدارية - السياسية من الأنتداب الفرنسي العام 44، بعثة زراعية أميركية لدراسة الوضع الزراعي للبلاد، فثار اللعاب الأميركي بطرح مشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين في الجزيرة.

ويختتم المؤلف عمله بالقول: يضع هذا الكتاب نفسه في حقل المكتبة التاريخية السورية، أو استوروجغرافيا التاريخ السوري الحديث، لكن في ضوء المقاربة التاريخية في المناهج الحديثة التي تتسم بهضم معطيات العلوم الاجتماعية والإنسانية كافة في حقل ممارسة التاريخ أو إنتاج المعرفة التاريخية في موضوع مميز لتاريخ العمران هو عمران الجزيرة السورية.

— محمد جمال باروت —



«سوريا جويتا» في النصوص اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد، ومثلها عند الأغريق باسم «ميزوبوتاميا» وقد سكنتها قبائل عربية وافدة، ومسيحية سريانية مقيمة، بحيث كان يصعب التمييز بين العرب والسريان في فترة الفتح الإسلامي إذ فتح العرب والمسلمون بلاد فارس بمساعدة السريان الذين أطلقوا على الخليفة عمر بن الخطاب لقب الفاروق، أو المنقذ لأنه أنقذهم من اضطهاد حكم الفرس والبيزنطيين، وكانت ذروة خرابها مع الاجتياحات المغولية والتتيرية وأواخر القرن الرابع عشر ميلادي، تلتها محاولتان عثمانيتان لإعادة إعمارها، مع تكريس تحالف عثماني - كردي لم ينجح، فتعاون العثمانيون مع قبيلة شمر العربية الهاربة من شمال شبه الجزيرة العربية من الوهابيين، فسكنوا الفرات، وتحولوا إلى أسطورة شمر الرابعة مع أحد مشايخها «صفوق الجربا» أوائل القرن الثامن عشر، وقد اتسم واقع تلك المنطقة البشري الاثني بطبيعة متنوعة ومركبة منذ فجر الثورة الحضرية الأولى في العالم».

في الفصل الثالث يبحث باروت في الموجات البشرية المتنوعة والمتتابعة من فارسية وآسيوية وعربية، وعربية - كردية وأرمنية وتركمانية إلى سريان ويهود ووثنيين ويزيديين وزرادشتيين هبطوا إلى الجزيرة الفراتية وتفاعلوا فيها،

أما الفصل الرابع وتحت عنوان «الهجرات الكبرى: موجة الهجرة الثالثة 1925 - 1939: التاريخ الاجتماعي والسياسي» والتي شكلت الجزيرة السورية الحديثة أبرز مقاصدها، يحدثنا عن موجة الهجرة التي وقعت خلال الأنتداب الفرنسي على خلفية التلاقي بين السياسة الإثنية الفرنسية وسياسات القمع الإثنية الكمالية للمسيحيين والأكراد ثم السريان والأرمن والآشوريين، واستقر معظمها في الجزيرة السورية. وكانت هذه الموجات نتاج التحولات الجيوسياسية والاجتماعية التي حصلت. في تركيا حيث

كتابنا اليوم للباحث السوري محمد جمال باروت، والذي لا يدخر جهداً في البحث والاستقصاء حين التصدي لأي موضوع أو مجال من مجالات المعرفة، وفي التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية يقدم مرجعاً شاملاً عن التكوين الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجزيرة السورية باعتبارها جزءاً من الإقليم التاريخي للجزيرة الفراتية، وهو يتعقب هذه المنطقة بقبائلها وعشائرها وطوائفها وتحالفاتها وانفكاك هذه التحالفات، والهجرات إليها، والصراعات التي نشبت فيها أو على أطرافها بين القبائل المختلفة أو بين أبناء الديانات المتنافسة، والموازين الديموغرافية التي استقرت عليها. وفي هذا السياق، يغوص الكتاب في المصالح المتنافرة التي تحكمت بهذه المنطقة، ولا سيما مصالح تركيا وفرنسا وبريطانيا، والتي كان لها شأن في عملية رسم الحدود والفرز السكاني واشتعال النزاعات المسلحة بين الأكراد والسريان والآشوريين وغيرهم من الأقوام النازلة في الجزيرة الفراتية.

ويقصد الباحث بالجزيرة السورية في هذا الكتاب، ما كان يشكل من الناحية الجغرافية البشرية جزءاً من «ديار ربعية» في إقليم بلاد الجزيرة التاريخي أو ما أطلق عليه الخبراء والاداريون الفرنسيون في مرحلة الأنتداب الفرنسي اسم «الجزيرة العليا» أو ما يعنيه اليوم المفهوم الإداري لمحافظة الحسكة في التقسيمات الإدارية السورية، وتشمل الرقة والحسكة ودير الزور كجزء من الجزيرة الفراتية الكبرى والتي كانت تضم أراضي من تركيا والعراق، قبل التواطؤ الفرنسي التركي على تقسيمها بين ثلاث دول إثر معاهدة لوزان عام 1923.

يقول باروت: «إن ثمة عقبات واجهته في اعداده كتاب التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية: أسئلة وإشكاليات التحول من البدونة إلى العمران النظري، منها: محدودية الدراسات والبحوث المتعلقة بتاريخ المنطقة، مما اضطره للجوء إلى حزمة واسعة من المراجع والوثائق والمذكرات، وسد الثغرة بالعودة إلى وثائق الجريدة الرسمية والمداولات البرلمانية، إضافة إلى القيام بعملية إعادة البناء التاريخية للأحداث والاتجاهات، ولاسيما أنه يناقش مسائل حساسة وأساسية، مثل الهجرات وبناء العمران البشري والحضري في الجزيرة، بعد طول اندثار وخراب».

في الفصل الأول وتحت عنوان «الجزيرة الوسطى السورية جدلية العمران الحضري والتبدون: إطار تاريخي»، يقدم باروت تاريخاً لجغرافيا الإقليم محمداً مفهوم الجزيرة وحدودها ومجالها البشري والتغيرات التي طرأت على جغرافيتها حتى الأنتداب الفرنسي.

الفصل الثاني بعنوان «تاريخ الهجرات والإعمار: نشوء الجزيرة السورية الحديثة» أتى في خمسة فصول مترابطة، يقول باروت: كان السريان قد أطلقوا على الجزيرة السورية اسم «سوريا بريتا»، و«أرام النهرين» في الأرامية والسريانية القديمة،

المتبعة في التربية على المواطنة فيمكن حصرها في ثلاث أساليب «التقليدي، التقني، التجريبي».

الأسلوب التقليدي: يُعد هذا الأسلوب من أقدم أساليب تعليم المواطنة وأكثرها رواجاً، خاصة في الدول التي انتقلت لإدراج المواطنة في مناهجها متأخراً، ويرى أنصار هذا الأسلوب أن الطلاب يجب إعدادهم اجتماعياً قبل إعدادهم سياسياً، ويعتمد هذا المنهج على الحفظ والاستظهار، حيث يحفظ الطلاب عن ظهر قلب تعريفات للحرية والعدالة وتكافؤ الفرص، لكن من النادر أن يجيبوا إذا سئلوا عن معاني هذه المفاهيم وتطبيقها في الواقع.

الأسلوب التقني: يقدم هذا الأسلوب سلسلة من الأنشطة التي غالباً ما تكون عن طريق إعطاء الطلاب أسئلة للتكملة على استمارة معينة، ويقتصر هذا الأسلوب على ترسيخ بعض المعلومات والمهارات التي تهدف إلى إخراج كفاءات يمكن قياسها، ويعطى الطلاب بعض الأنشطة الإضافية التي تجمع بين خبرتهم واهتماماتهم ومحتوى المنهج، مثل، أن يكتب الطلاب قائمة بالحقوق التي يكفلها لهم الدستور مع ذكر الطرق التي يستطيعون بها المشاركة في الحكومة والتأثير في قرارها، ثم مناقشة العلاقة بين الضمانات والمشاركة السياسية في الحكومة، ودور الطلاب نشيط إلى حد ما، حيث يتوقع منهم أن يعملوا بجدية للارتقاء بكفاءتهم، ويعكس هذا الأسلوب توجهاً من المفترض أن يدعم التغيير ولكنه لا يحاول تغيير الوضع القائم.

الأسلوب البنائي «التجريبي»: يشجع هذا الأسلوب الطلاب على ممارسة اهتماماتهم من خلال منهج وأنشطة معدة بشكل متكامل تتماشى مع خبراتهم، وتجعلهم يبحثون على نطاق واسع في المجالات السياسية، والمجالات العامة ويهتم هذا الأسلوب بالتعلم والمعرفة من خلال التجربة، ويعتمد على الفهم والاستيعاب، فعلى سبيل المثال يبحث الطلاب عن معنى العدل وصوره المختلفة، وسلطة الحكومة والمدى الذي لا تستطيع تجاوزه، وتصمم الأنشطة بشكل يستطيع الطلاب من خلالها ممارسة الحقوق والمسؤوليات وبالتالي إظهار الاستقلالية للقيام بمبادرات محددة، ويعكس هذا الأسلوب توجهاً يشجع على البحث الناقد للنظام السياسي والمشاركة الفعالة في الشؤون العامة.

في الختام لا بد من التأكيد على الارتقاء بمفهوم وبرامج التعليم من أجل المواطنة قدر الإمكان، على أساس أن هناك حاجة ماسة إلى أن يتبنى المواطنون الصالحون قيم ومبادئ مجتمعهم. كما تتضمن بعض خصائص وسمات المواطنة الجيدة: المشاركة في العملية السياسية، والرغبة في الالتزام بمساعدة الآخرين من خلال القيام بأعمال مناسبة، مثل: المشاركة في العمل التطوعي وخدمة المجتمعات المحلية.

في العالم العربي» وتحت عنوان «تربية المواطنة: ما الذي يجعل التلاميذ يقبلون على تعلمها»: تحليلاً لواقع المدارس الأمريكية الثانوية وما الذي يتعلمه الطلاب عن حكومتهم وعن السياسة وآليات تعلمهم، بغية تطوير نموذج مناسب لتعليم المواطنة بشكل فعال، وخلصت هذه الدراسة إلى وجود تفاوت كبير بين الطلاب في المعرفة الوطنية تبعاً لبعض المتغيرات مثل الجنس، والعرق، نوع المدرسة، وخصائص أخرى مرتبطة بالمنزل والمدرسة والفرد. وقد أثبتت الدراسة المذكورة أن التعليم يمكن أن يسهم بفاعلية في تعلم المفاهيم الوطنية وتربية المواطنة.

يضيف الشمري في نفس المرجع: على اعتبار أن المواطنة تكمن في قلب الحياة الاجتماعية والتماسك الاجتماعي، وكما يتمكن الأفراد في المجتمع وضمن حياتهم اليومية من ممارسة السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل ديمقراطي في مجتمعاتهم، فإن عليهم بالأساس أن يكونوا على دراية ووعي كافيين بمعنى المواطنة وأبعادها ومركزاتها، ومن ثم تكون لديهم القدرة على ممارسة مبادئ الديمقراطية في حياتهم اليومية بحيث تكون الديمقراطية جزءاً من الثقافة المجتمعية السائدة بين الحين والآخر.

ولعله من المفيد التذكير أن ممارسة المواطنة ليست مرهونة بالرشد القانوني الذي يخول المشاركة في الحياة السياسية وخاصة العمليات الانتخابية بل إن لكل مرحلة، بدءاً من السنوات الأولى للطفل، أشكال وصيغ لشكل الممارسة من قبيل التحسيس ووضع تصورات عملية حول سلوكيات يومية متكيفة مع كل فئة عمرية من شأنه أن يحدث مع مرور الزمن وتضافر جهود أطراف أخرى، ذلك التراكم الذي يغرس قيم المواطنة في تضافر الفكر والوجدان ويجعل بلورتها وتفعيلها أمراً طبيعياً وداثماً، أما الأساليب

أوردنا سابقاً تعريفات عديدة للمواطنة أجمعت على كونها انتماء الإنسان إلى بقعة جغرافية معينة، أي الإنسان الذي يستقر بشكل ثابت داخل الدولة أو يحمل جنسيتها ويكون مشاركاً في الحكم ويخضع للقوانين الصادرة عنها ويتمتع بشكل متساوي مع بقية المواطنين بمجموعة من الحقوق ويلتزم بأداء مجموعة من الواجبات تجاه الدولة التي ينتمي لها، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نتعمق في مفهوم المواطنة وما يترتب عليها من أسس وكيفية منح المواطنة وغير ذلك من مفاهيم لم نمارسها في حياتنا اليومية، فالمواطن هو الإنسان الذي يستقر في بقعة أرض معينة وينتسب إليها، أي المكان الإقامة أو الاستقرار أو الولادة أو التربية، أي علاقة بين الأفراد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة، ولكن هل يولد الإنسان مواطناً ومتى يصبح الفرد مواطناً حقيقياً.

إن العنصر الأساسي في مفهوم المواطنة هو الانتماء الذي لا يمكن أن يتحقق بدون تربية المواطنة اللازمة لتحقيق المواطنة، وهي أحد الشروط الأساسية الواجب توافرها لإرساء دعائم المواطنة النشطة. وقد تفهم أهم المفكرين والفلاسفة - منذ فجر التاريخ بدءاً من الفيلسوف اليوناني القديم أفلاطون، أهمية الدور الذي تضطلع به التربية والتعليم في تكوين مواطنين صالحين.

فبينما يولد الإنسان متمتعاً بمجموعة محددة من «الحقوق»، فإنه تبرز هنا مدى الحاجة الماسة إلى التعليم من أجل خلق مواطنين قادرين على الاضطلاع بواجبات «المواطنة» التي تكتسب عن طريق التعلم، زاويتنا اليوم استكمال لزاوية سابقة عن المواطنة والتربية نحاول أن نرصد فيها الطرق المعاصرة في تعليم المواطنة وترسيخها.

أشار عالم الاجتماع الفرنسي «بيار بورديو» في كتابه «العنف الرمزي» الصفحة 75: إلى أنه يعود لأي نظام تعليمي مؤسسي من ميزات بنيوية ووظيفة مخصصة، إلى كونه يقوم بإنتاج ومعاودة إنتاج، بما للمؤسسة من وسائل خاصة، أي اللوازم والشروط المؤسسية التي لا بد من وجودها واستمرارها (معاودة إنتاج المؤسسة نفسها) سواء لاضطلاحه بوظيفة الترسخ الخاصة به أو بوظيفة معاودة إنتاج نموذج ثقافي لا يكون من إنتاجه (معاودة إنتاج ثقافية) تسهم بمعاودة إنتاج العلاقات القائمة بين الجماعات أو الطبقات، أي (معاودة إنتاج اجتماعية).

ما سبق نستنتج أن المؤسسات التربوية والتعليمية من خلال التزامها بأطر محددة، ولنقل مبادئ المواطنة مثلاً، قادرة ليس فقط على تغيير النسق القيمي المجتمعي بل قادرة أيضاً على تغيير ذاتها وإعادة إنتاج ثقافة جديدة، وللتأكيد على دور التربية في ترسيخ المواطنة قدم «عبد الرحمن سليم الشمري» في كتاب «المواطنة والديمقراطية



تاريخ من لا تاريخ لهم

يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1994 - 1991

الناصرى وقد دارت القهوة المرة وجاء الجلسة واحد بعد الآخر. قال أحدهم: ياريت الختير يحدثنا اليوم، لقد كان حديثك بالأمس تاريخياً، ومتسلسلاً وجذاباً.

قلت: تحدثت وأخذت نفسي.. المتحدث لا يستفيد.. المستمع يتقن فن الاستفادة.. اليوم أنا مستمع.

قال من ينتمي إلى الحزب الشيوعي: سأحدثكم اليوم عن الدولة. بالبداية ما هي الدولة؟

كانت الدولة وبالأعلى على الإنسان، فكما أن الزواج يشد الإنسان ويقيده بسلسلة من ذهب، لكن فإن الدولة ربما تقيد الإنسان بأغلال من حديد، وإذا حسنت نيتها بأغلال من نحاس.

فهي بالتالي: مؤسسة تشرف على تنظيم علاقات البشر، وهي مرحلة من مراحل وعي الإنسان، إلا أنه لا شيء نافع يبدعه هذا الإنسان، إلا ويصبح من خلال اعوجاجه ضده.. وصراعه مع الدولة قصة تبتدئ ولا تنتهي.

كما أسلفنا: وجدت الدولة لخدمة الإنسان، وعندما كانت تتحول على يديه من أداة خدمة إلى أداة استبداد، كاد ينهض الصراع ضدها.. هكذا كانت الأمور في الحضارات القديمة في بلاد الرافدين ومصر، ولذا كثر الأنبياء هنا نتيجة كثرة جور والظلم والاستبداد وقد عرفت كل من أثينا وروما مثل هذا الصراع والإمبراطورية الفارسية، والصين القديمة والهند التي كان كتاب (كليلا ودمنة) من إنتاج حكمتها لتوعية الحاكم ومنعه من الاستبداد.. وما ظهور كونفوشيوس وبوذا وماني وزرادشت إلا من أجل نشر النور والمعرفة ضد الظلم والطغيان.

إن الدين المسيحي كان رداً على ألوهية الحاكم واستبداده وطغيانه والدين الإسلامي تكملة له لإعلاء شأن الإنسان وتمجيده رداً على ظلم كسرى وعسف قيصر، وضد دولة الاستبداد البعيدة عن الحق والله.

اليومين الفائتين وهكذا بدأت: هناك أقوال كثير في محنة الإنسان على هذه الأرض، وملخصها: أنه إذا أردت امتحان الإنسان امتحنه في: المال والمرأة والحكم.. وهذا ينطبق على الأحزاب والثورات..

ما يدعى بالثورات في الوطن العربي من ثورة العراق 1958 وثورته القذافي عام 1969 ثم ثورات البعث في شباط 1963 في العراق وثورته 8 آذار في سورية وثورات السودان المتتالية.. كل هذه لم تكن ثورات ولكنها كانت انقلابات من أجل الحكم، ومن أجل التفنن في الاستبداد وقهر الشعب وإذلال الجماهير، ومحاربتها في لقمة عيشها.. تنفرد ثورة تموز 1952 في مصر بأنها طردت المحتل ورفعت من شأن الجماهير الفلاحية، وأنجزت سد أسوان، وضربت احتكار السلاح ولكنها لم تتخل عن الاستبداد والجهاز الأمني وهذا جعل الجماهير في عطالة.

إن حكام الوطن العربي برمتهم فوق القانون، وفوق الدستور والشعب موضوع تحت رحمة الحاكم، وهؤلاء الحكام قد أفرزهم الجيش في الأقطار التي تدعى الثورة، أما الملوك فأشد تعنتاً حيث حكم العائلة والسلالة، والعشيرة والأقرباء هم الحق والعدالة، وجهازهم الأمني يدوس بحذائه قيم الحق والعدل والشعب، وما مؤسساتهم سوى واجهة لتدمير حياة الإنسان الذي لا ناقة له ولا جمل في الثروة.

1993 / 1 / 16

كذلك لم يفرج عنا، ويبدو أنه لن يفرج.. ماذا يبببب النظام لنا؟ لا ندري.. كل ما ندره أننا نقضي وقتاً غير ممتع تحت ظل الأنظمة الاستبدادية التي صادرت الإنسان، والرأي، وربما إذا استمرت على هذه الوتيرة ستحول الناس إلى حيوانات. لا تتكلم.. لا تسمع.. لا ترى.. لا تعي.. رغم أن الله خلق لها أذان كي تسمع بها وعيون كي ترى وألسنة كي تلهج في المهجع الثالث كنت بضيافة الشاب ابن الحزب

1993 / 1 / 14

جلست في المهجع وأمامي الإبريق والسخان وجوزة المثة. جاءني رفيق البعث الديمقراطي وقال: أراك لا زلت هنا.

- والله قررت أن أجلس في المهجع لأن البرد لا يشجع على الجلوس في الممر.

- لاحظت أنك البارحة اكتفيت بالصمت.

- كنت أستمع وباستمع.

وبعد لأي حضر عضو الحزب الشيوعي وعضو حزب العمل وجلسنا في المهجع، وبدأت جوزة المثة تدور.

قال عضو الحزب الشيوعي: ما رأيكم اليوم نتحدث عن الوحدة بين سورية ومصر، وهل كانت هذه الوحدة سياسية أم مصيرية؟

قال العضو في حزب العمل: هل تسمحون لي أن أتكلم؟ الجميع صمتوا

وبدا الرفيق بالكلام: الوحدة حلم لدى العرب، ولكن الوحدة ممنوعة على العرب، وما زرع إسرائيل بين عرب الشمال الأفريقي وعرب الغرب الآسيوي إلا لمنع قيام مثل هذا المشروع ومجاهته وقبل قيام مثل هذا المشروع بين مصر وسورية كان يجب أن يحصل تقارب وحدوي بين مصر وليبيا وبين مصر والسودان. ثم بين سورية والعراق، يحدث بين هذه البلدان أولاً التبادل التجاري من أجل قيام نواة اقتصادية.

كأن الوحدة المسلوقة والسريعة بين سورية ومصر لضرب الأسس المصيرية للوحدة.

صادرت الوحدة حرية الأحزاب وحرية الصحافة ومنعت النقد والوعي والتفكير، واعتمدت التصفيق، وتضخيم جهاز المخابرات، وأولت الدعاية والغوغائية الإعلامية أهمية كبرى وهذا ما أثر فيما بعد على أداء انقلاب 8 آذار.

انبريت هذه المرة للسؤال قلت: ماذا عن الوحدة في ظل 8 آذار؟

قال: يقال عن فترة الانقلاب على الوحدة التي استمرت من أيلول عام 1961 إلى 8 آذار 1963 عهد الانفصال. كأن الذين أتوا إلى الحكم بعد 8 آذار وحدويين حتى النخاع. إن الانفصال مستمر حتى الآن وهو سيبقى إلى الأبد.. الجميع من الحكام قطريون وانفصاليون هدفهم الحكم والاستبداد، وعبد الناصر والمرحلة برمتها كانت كذلك، وإذا كان من أسف عليه فبسبب الذين جاءوا بعده وقد بالوا في المعلق وفي طعامهم، وأعلوا من شأن أمريكا أكثر من إعلاء كلمة الله والحق: وتعاملوا مع العدو كأنه هو الحق أما الفلسطينيون فهم قتلة للإنسان والحق وإرهابيون.

1993 / 1 / 15

لم يفرج عنا ولذا استأنفنا الحوار والنقاش. قلت للأطراف الأربعة الذين تحلقوا حولي في المهجع السابع، وكان الوقت بعد الغداء، وأكواب الشاي تغدو: اليوم أنا سأتكلم..

رجبوا وفرحوا وقالوا: عجبنا من صمتك في





© Souriatna Lens | by: Basel Hasso

عالم لا متناهي في دقة تنظيمه! أم عالم عشوائياته الشديدة التوافق فيما بينها هي من أكسبته تلك الصفة؟
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو



كاريكاتير الفنان عبد المهيم بدوي



اللاجوء حق تكفله القوانين والمواثيق الدولية وتجاهله الحكومات (2)

■ دمشق - زليخة سالم

رغم المناشدات والاستنكار الدولي لمثل هذا التصرف المعروفة نتائجه، إضافة إلى التحريض ضدهم من قبل البعض لإخراجهم من لبنان، بإيحاء من فريق ما.

ويعتبر لاجئاً بمقتضى الاتفاقيات الدولية أي شخص يوجد خارج بلد جنسيته نتيجة لأحداث وقعت، وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو آرائه السياسية، خارج بلد جنسيته ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف أو لدواع أخرى غير راحته الشخصية، أن يستظل بحماية هذا البلد أو أي شخص يكون بلا جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابق ولا يستطيع أو لا يريد بسبب ذلك الخوف أو لدواع أخرى غير راحته الشخصية، أن يعود إلى ذلك البلد.

وتتضمن العديد من الاتفاقيات الدولية المعايير التي تنطبق على الأطفال، والنساء، حيث نصت اتفاقية 1951 على عدم جواز ارجاع أي طفل يتمتع بمركز اللاجئ على العودة إلى بلد المنشأ، وعدم جواز التمييز بين الاطفال والراشدين في مجال الرعاية الاجتماعية والحقوق القانونية، وأقرت الاتفاقية احكام خاصة بتعليم الاطفال اللاجئين، كما أن اتفاقية حقوق الطفل تغطي كل النواحي الخاصة بالأطفال، وهي تشكل اطاراً مرجعياً لعمل مفوضية اللاجئين.

وضمن حماية اللاجئين أدرجت بالإضافة إلى معاهدة 1951 والبروتوكول الملحق بها، في الإعلان العالمي لحقوق الانسان، واتفاقيات جنيف الاربع والبروتوكولات الملحقة بها، والعهديين الدوليين لحقوق الانسان، والإعلان بشأن حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والنزاعات المسلحة، كما تطرقت اتفاقية مناهضة التمييز ضد المرأة، لكافة الأحكام الخاصة بحماية المرأة، والتي يمكن الإحالة إليها في حال وجود المرأة في اماكن اللجوء، إضافة إلى العديد من الاتفاقيات والمقررات الدولية والمؤتمرات الخاصة بالمرأة والتي تركز في مجملها على ضوابط حماية النساء أثناء النزاعات المسلحة.

دخلت كلها حيز التنفيذ والاتفاقية الأمريكية لحقوق الانسان، التي تم اعتمادها تاريخ 22 / 11 / 1969، ودخلت حيز التنفيذ في 7 / 18 / 1978 والميثاق الأفريقي لحقوق الانسان والشعوب، الذي تم اعتماده تاريخ 6 / 26 / 1981، ودخل حيز التنفيذ في 10 / 21 / 1986، والميثاق العربي لحقوق الانسان الذي تم اعتماده عام 1997.

كما اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1950 النظام الأساسي لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين الذي ينص على أن يتولى مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين مهمة تأمين حماية دولية للاجئين الذين تشملهم أحكام هذا النظام الأساسي، والتماس حلول دائمة لمشاكلهم بمساعدته الحكومات، والهيئات الخاصة «إذا وافقت على ذلك الحكومات المعنية» على تسهيل إعادة هؤلاء اللاجئين إلى أوطانهم بمحض اختيارهم أو استيعابهم في مجتمعات وطنية جديدة.

ولا تختلف ديباجة الميثاق العربي لحقوق الانسان التي اعتمدها مجلس جامعة الدول العربية ونشرها على الملأ عام 1997 عن ديباجة ميثاق الأمم المتحدة، واتفقت فيها الدول فيما يخص اللجوء على ما يلي:

المادة / 20 / لكل فرد مقيم على إقليم دولة حرية الانتقال واختيار مكان الإقامة في أي جهة من هذا الإقليم في حدود القانون، / المادة / 21 / لا يجوز بشكل تعسفي أو غير قانوني منع المواطن من مغادرة أي بلد عربي بما في ذلك بلده، أو فرض حظر على إقامته في جهة معينة أو إلزامه بالإقامة في أية جهة من بلده، / المادة / 22 / لا يجوز نفي المواطن من بلده أو منعه من العودة إليه، / المادة / 23 / لكل مواطن الحق في طلب اللجوء السياسي إلى بلاد أخرى هرباً من الاضطهاد ولا ينتفع بهذا الحق من سبق تتبعه من أجل جريمة عادية تهم الحق العام ولا يجوز تسليم اللاجئين السياسيين.

ورغم اقرار الدول العربية لهذا الميثاق فقد أقدمت الحكومة اللبنانية على تسليم ناشطين وعسكريين إلى السلطات السورية،

الحياة حقوق وواجبات على كل إنسان داخل بلده وخارجها، هذا ما تقره الشرائع الأخلاقية والإنسانية والدينية والقانونية المحلية والدولية، وحقوق اللاجئين التي يقرها القانون الدولي في مواثيق وصكوك متعددة بدءاً من عام 1926، تتلائم مع واجبات مفروضة عليهم، تركز في مجملها «على أن كل لاجئ إزاء البلد الذي يوجد فيه واجبات تفرض عليه، خصوصاً، أن ينصاع لقوانينه وأنظمتها، وأن يتقيد بالتدابير المتخذة للمحافظة على النظام العام فيه».

أزمة اللاجئين السوريين الإنسانية والمأساوية، وتقصير المجتمع الدولي تجاهها، لا يجب أن تدفع باللاجئين إلى مخالفة قوانين الدول التي تستضيفهم، وعليهم احترام القوانين الناظمة للجوء الخاصة بكل دولة، وعدم مخالفتها، وخاصة ممن منحوا اللجوء وهذا يعني ضمناً القبول بالعيش كأي مواطن فيها.

كثير من المظاهر غير اللائقة ارتكبتها قلة من اللاجئين في عدد من الدول وخاصة المجاورة، أثرت سلباً على جميع اللاجئين وعكست صورة غير ايجابية عن السوريين، ورغم كل ظروف الألم والقهر التي يعيشها اللاجئون إلا أن عليهم احترام القوانين والعهود السائدة في أي دولة، وبالواجبات التي يفرضها عليهم انتماءهم لوطنهم، ليتمكنوا من المطالبة بحقوقهم المشروعة والمنصوص عليها في العديد من المواثيق والصكوك الدولية والعربية.

ونذكر أن المجتمع الدولي اعتمد عدد من الصكوك الدولية والإقليمية الخاصة بأوضاع اللاجئين والتي تركز في موادها على حمايتهم وبيان حقوقهم منها اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين والتي بدأ تنفيذها عام 1954، والبروتوكول الخاص بوضع اللاجئين الذي بدأ تنفيذه عام 1971، والاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان، اتفاقية حماية حقوق الانسان والحريات الأساسية التي تم اعتمادها تاريخ 4 / 11 / 1950 ودخلت حيز التنفيذ بتاريخ 3 / 11 / 1953، و14 بروتوكولا مضافا إلى اتفاقية حماية حقوق الانسان والحريات الأساسية،